الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي

من إعداد الطالب:

- أحمد عمار محمد

تحت إشراف:

- د. شيخي نورية

السنة الجامعية

1435هـ - 1436 هـ / 2013 م – 2014 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

تخصص : دراسات مقارنة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

سجل تحت رقم FAC
بتاريخ 2015
الرقم

صراع الحضارات وقابلية الاستعمار في كتابات مالك بن نبي

من إعداد الطالب:

- أحمد عمار محمد

تحت إشراف:

- د. شيخي نورية

السنة الجامعية

1435هـ - 1436 هـ / 2013 م – 2014 م

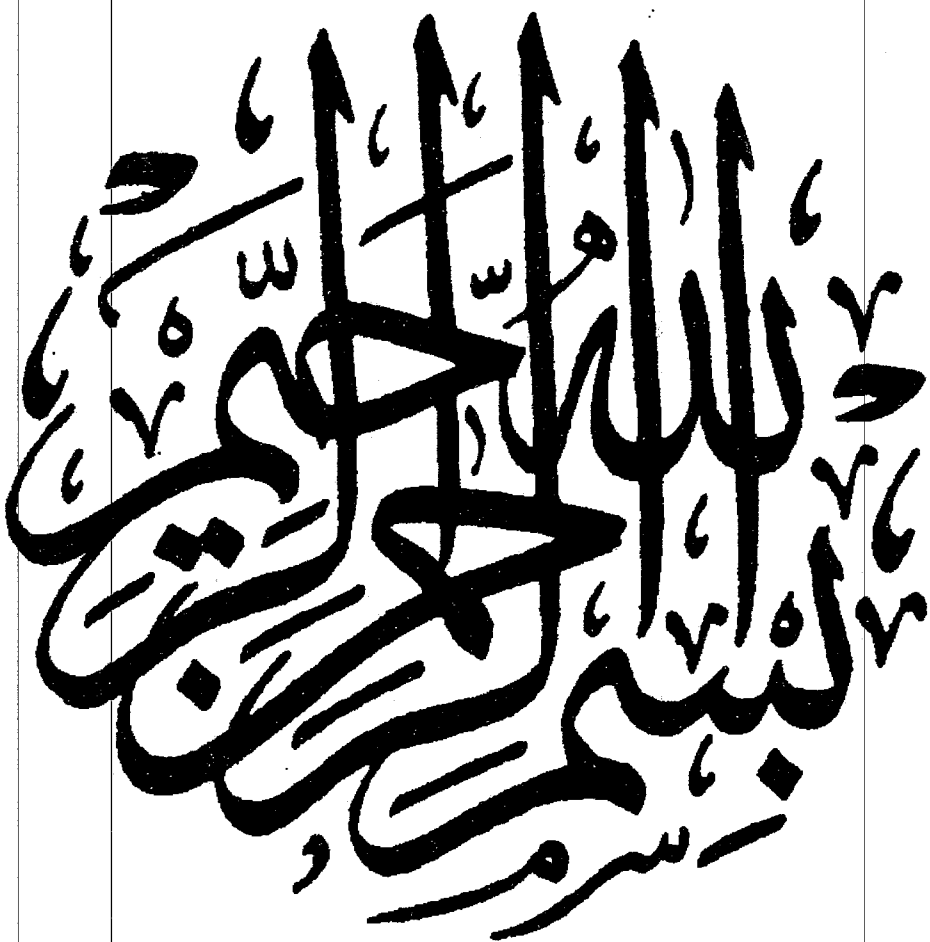
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

الحمد لله ثم الحمد لله، الذي وفّقني لإتمام مشواري الدّراسي بفضله سبحانه وتعالى، أحمده وأشكره وأستعين به، والصلاة والسّلام على رسوله الكريم أما بعد:

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى نور الفؤاد، إلى أعذب إسم نطقت به شفتاي، إلى القلب الكبير المليء بالرقة، والحلاوة والعذوبة.

إلى من كانت لي تعزية في الحزن ورجاءا في اليأس وقوة في الضعف إلى أمّ الغالية ، إلى الذي رعاني بحنانه، وكفلني بحبّه،وكان نبراسا منيرا في حياتي، إلى من ألجأ إليه حين تضيق الدنيا بي، إلى من دعمني، بتشجيعاته، ونصائحه وأراد أن يراني في أعلى وأحسن المراتب....إلى أبي

وإلى المشرفة الأستاذة "نورية شيخي" التي كانت عونا لي طيلة مشواري الدراسي كما لا أنسى الأستاذ "عبد الحكيم والي دادة " الذي وقف هو أيضا بنصائحه وتوجيهاته.كما لا أنسى زميلي في الدراسة الأخ والصديق توفيق الذي كان نعم الصديق الوفي طيلة سنوات الدراسة.

كلمة شكر

نشكر الله عزّ وجل الذي وفقنا إلى هذا العمل المتواضع. نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة " شيخي نورية" لقبولها الإشراف على هذه المذكرة ولصبرها معي طيلة أيام إنشاء هذا البحث كما لايفوتني أن أشكر كل من قدّم لي يد العون والنصيحة من أصدقاء وزملائي في الجامعة وبالخصوص توفيق.الذي أدعوا اله أن يبارك فيه ويحفضه من كل شرّ وأن يرزقه الصحّة والعافية والسّعادة في الحياة.

يـــــــارب !..
لا تدعنـــــي أصـــاب بالغـــرور إذا نجحـــت ، ولا أصـــاب باليـــأس
إذا فشـــلت ، بـل ذكـــرني دائمـــا بـأن الفشـــل هو التجـــارب التـي
تسبـــق النجـــاح

يـــــــارب ! ..
علمنـــــي أن التســـامح هـو أكبـــر مـراتـب القـــوة ،
وأن حـــب الانتقـــام هـو أول مظـــاهـر الضعـــف

يـــــــارب !..
إذا جرتـــني من المـــال ، أتـرك لـي الأمـل ، وإذا جـرتنـي مـن
النجـــاح ، أتـــرك لـــي قـــوة العنـــاد حتـى أتغلـب علـى الفشـــل ، وإذا
جـرتنـي
مـن نعمـة الصحـة أتـرك لـي نعمـة الإيمـــان

يـــــــارب !..
إذا أسـأت إلـى النـاس أعطنـي شجـاعـة الاعتـذار ، وذا أسـاء
النـــاس إلـي أعطنـي شجـــاعـة العفـــو والغفـــران

يـــــــارب !..
إذا نسيتـــك لا تنسنـــي

مقدمة

مقدمة:

الصراع الحضاري ظاهرة أصبحت من الموضوعات الكبرى والجديرة بالتأمل في عالمنا فهو ثمرة السنين البعيدة وسمة قديمة قدم الإنسانية.

أنه وسيلة يعي بها الإنسان ذاته ليجبر الغير أن يعترف به ، ولا يكون قائما إلا إذا وجد قطبين اثنين الواحد يتنافى مع الآخر ولا يسايره،ويناقضه فتعمد الغلبة حينئذ للأقوى فتتوسع دائرتها،ويتعمق الشعور بضخامتها فيزداد يمان الضعيف بالعجز، وتترسخ لديه النزوع إلى الإقتداء بالغير وتقليد الغالب ثقافيا واجتماعيا وفكريا ودينيا وقد يتجاوز ذلك لإلى الشك في القدرة الذاتية على تحقيق هذا الإقتداء وفقدان الثقة ، فيزيد في الابتعاد عن مقوماته الشخصية هوة ما يدفعه إلى الاستسلام واستلهام حضارة الطرف الغالب. ذلك أن فقدان الطرف المغلوب لمكانته العالمية وشعوره بالنقص لمن أكبر الأسباب إلى التشتت والانصهار في بوتقة حضارة القوي وتمدنه.

"الشرق والغرب" صراع حضاري طاحن دار بين هذين القطبين المختلفين انتهى باستعمار غربي للشرق ترك بصماته على المجتمع الشرقي مما حز في نفسية المفكرين وأدى ذلك إلى الشعور بالمسؤولية أمام الأوضاع التي آل إليها القطب الذي ينتمون إليه(الشرق) بسبب النظم والقوانين والآداب والأعراف والأخلاق التي زرعها الغرب في أرضهم،فراحوا يسلطون جام غضبهم عليه ويكتشفن حقيقة اتجاهه المتعفن الذي يهدف إلى بقاء الشرق تحت إمرته ،من هؤلاء نجد المفكر مالك بن نبي الذي ارتأيت استنطاق مؤلفاته التي نسجها عن الصراع الحضاري ومن خلال هذا يتبادر الإشكال التالي:

كيف نظر مالك بن نبي إلى معادلة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب؟ ما هي المصادر الفكرية التي ساهمت في تشكيل شخصية مالك بن نبي؟ وما مفهوم الصراع الحضاري؟.

ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع :

1- الإعجاب بشخصية مالك بن نبي الفذة التي شرف الجزائر بفكره، والانجذاب إلى أقواله الشهيرة مثل مقولته"غير نفسك تغير التاريخ التي تثير الفضول لمجرد قراءتها وتدفعها إلى البحث في الثنايا مخطوطاته عن سر هذه المقولة.

2- الصراعات والحروب الطاحنة بين الشرق والغرب والتي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا مما دفعني إلى التساؤل عن هذين العلمين في كتابات مالك بن نبي.

ومن أهم الكتب التي اعتمدت عليها في هذا البحث كالصراع الفكري في البلاد المستعمرة،مشكلة الثقافة ،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، وجهة العالم الإسلامي ،فكرة كمنويلث إسلامي ، مذكرات شاهد قرن،في مهب المعركة(مالك بن نبي) نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث(يوسف حسين)الصراع الحضاري في العالم الإسلامي (عكاشة شايف) من التراث إلى الثورة (الطيب تزيني).

ومن أجل دراسة هذا الموضوع امتدت على منهجين :

الوصفي والتحليلي وذلك من خلال سرد مختلف المفاهيم المتعلقة بعناصر البحث وصفها بشكل تحليلي يساعد على توضيح محددات البحث وتبسيطها

وحتى أتمكن من ضبط الأطروحة وسعيا مني لبلوغ التسلسل في الأفكار قسمت بحثي إلى ثلاث فصول تتصدرها مقدمة تطرقت في الفصل الأول الذي كان يحمل عنوان "مالك بن نبي ومصادر فكره" إلى أربعة مباحث ، تضمن المبحث الأول ترجمة لحياة مالك بن نبي ومراحل حياته التي فصلتها بالدراسة إلى مرحلة الطفولة والمرحلة الباريسية والمرحلة القاهرية ومرحلة العودة إلى الجزائر،وتضمن المبحث الثاني مصادر إشعاعه الفكري وهما مصدران : الثقافة العربية والثقافة الغربية وأثرهما في فكره ،بينما يحتوي المبحث الثالث على تراثه الذي خلفه وهو زبده مسيرة طويلة من الكفاح بالعقل والقلم ،وجاء المبحث الرابع ليتناول مكانته في أوساط المثقفين.

أما الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان "ماهية الصراع الفكري"

فقد تضمن خمسة مباحث ، جاء المبحث الأول ليستعرض مفهوم الصراع لغة واصطلاحا ومفهوم الحضارة بينما تضمن المبحث الثاني مفهوم الصراع الحضاري عند العلماء الغرب والمسلمين أما المبحث الثالث فقد تناول مفهوم ثنائية الشرق والغرب والعلاقة بينهما وتطرقت في المبحث الرابع إلى إشكالية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ولاحظت أن نتيجة هذا الصراع انقسام المفكرين إلى ثلاث اتجاهات : اتجاه الأصالة واتجاه المعاصرة،والاتجاه التوفيقي، أما المبحث الخامس فيحتوي على مسألة الصراع الحضاري في العلاقات العربية الغربية.

وقسمت الفصل الثالث المعنون بـــ" الصراع الحضاري في كتابات مالك بن نبي" إلى أربعة مباحث:تضمن المبحث الأول الصراع الفكري عند مالك بن نبي ومدى خطورة الأفكار الميتة والأفكار القاتلة التي يحتويها هذا الصراع ، وتناول المبحث الثاني الصراع الثقافي وما يحمله في طياته من تبعية واغتراب ثقافي فرضه الغرب عند استعماره لشعوب الشرق وطمس الثقافة العربية الإسلامية وعرض المبحث الثالث الصراع الديني بينما جاء المبحث الرابع ليتناول الصراع الاجتماعي وما يتضمنه من إفساد لأخلاق وتمرد على قوانين المجتمع ، أما الفصل الرابع والأخير تحت عنوان قابلية الاستعمار عند مالك بن نبي فتناولت في المبحث الأول تعريف الاستعمار وأنواعه وأهدافه .أما المبحث الثاني فتناولت قضية قابلية الاستعمار عند مال.وق صادفني أثناء قيامي بالبحث مجموعة من الصعوبات لعل أهمها قلة المصادر والمراجع وضيق لإنجاز المذكرة

وختمت هذه الدراسة بخاتمة تتضمن النتائج المتوصل إليها.

أحمد عمار محمد

يوم :28 ماي 2014

الفصل الأول

الفصل الأول:مالك بن نبي وإشعاعه الفكري.

المبحث الأول: الإشعاع الفكري عند مالك بن نبي.

المبحث الثاني: مصادر إشعاعه الفكري.

المبحث الثالث: تراثه الفكري.

يشكل العلماء والمفكرون فئة مهمة من فئات المجتمع تعبر عن الظروف الحضارية التي تعيشها، فالعالم لا يستطيع الوصول إلى المعرفة الحقيقية بمفرده طالما إن أفكاره وقيمه ومقاييسه وتجاربه هي حصيلة احتكاكه وتفاعله مع الجماعة والمجتمع.

" فالفكر يتشكل عند الإنسان ونوعية التركيب النفسي الذي يرسم معالم الشخصية وخصائصها الكيفية ، وهذه الشخصية تتبلور معالمها وطبيعة السياق التاريخي فلا يمكن الفصل بين الفكر والشخصية ،بل إن الشخصية هي التحليل النفسي للأفكار والمفاهيم واتجاهاتها الاجتماعية"[1]

فالمعرفة العلمية هي إذن نتاج الحياة الاجتماعية والعالم هو ذلك الشخص الذي يحاول جمع البيانات العلمية وتصنيفها وعرضها بعد تدوينها في شكل نظريات وقوانين علمية يمكن استعمالها في حل المشكلات الاجتماعية التي يعانيها الإنسان في المجتمع.

ينطبق هذا القول على نظرية مالك بن نبي حول مشكلات الحضارة ، فالظروف الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التي تزامن معها هي التي شكلت فكرة وبلورت وعيه وجعلته متميزا في طرح هذه المشكلات ، وهو بذاته يعترف بهذه الحقيقة في قوله "هكذا استفدت بامتياز لا غنى عنه حينما ولدت في تلك الفترة "[2] ولقد ارتأيت في بداية هذا البحث أن أتعرض لحياة ابن مالك وعرض مؤلفاته حتى يتسنى لنا معرفة مكونات فكره والعوامل الذاتية والموضوعية التي ساهمت في تشكيل نظريته حول الحضارة والصراع الحضاري .

1-زكي الميلاد، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر،دمشق، ط1، 1998 ، ص37.

2-مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1969، ص15.

فالمنهجية التي اتبعها في دراسة سيرة مالك بن نبي قائمة على التعقيب التاريخي والتي تمكن في أهم المراحل والمنعطفات الرئيسية التي ساهمت بقسط كبير في تكوين القاعدة التربوية والفكرية لشخصية مالك بن نبي.

المبحث الأول : ترجمته وحياته

يعد مالك بن نبي واحدا من أعلام النهضة الإسلامية وأبرز مفكر عني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون[1] وتزامن مع فترة تاريخية حاسمة تربط بين ماض عريق انطفأ نجمه ومستقبل لا يزال في بداية تشكله وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم حياة مالك بن نبي إلى أربعة أقسام :

المطلب الأول : مرحلة الطفولة (1905-1930)

ولد مفكرنا العظيم سنة 1905م بمدينة قسنطينة حاضرة العلم والثقافة في القطر الجزائري [2] في أسرة متواضعة إذ كان أبوه يشتغل وظيفة "خوجة" لدى الإدارة المحلية في تبسة ، كان وحيد أبويه من الذكور ولذلك فقد كان محل عناية كبيرة منها وحتى من شقيقتيه وأتيح له أن يعيش طفولته في جو ديني في كل من قسنطينة وتبسة وينهل من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية المسيحية إذ التحق بالمدرسة القرآنية والمدرسة الرسمية الفرنسية.

وبعد رحيله إلى تبسة مع أفراد أسرته يذكر مالك بن نبي أنه بدأ دراسته بداية طيبة وأنه نجح في شهادة الدروس الابتدائية بتفوق كما فاز في امتحان الحصول على منحة قصد متابعة دراسته في المرحلة التكميلية بقسنطينة في مدرسة (سيدي الميلي) وحقق أمنية والديه في أن يصبح عدلا في الشرع الإسلامي وبعد انقضاء أربع سنوات من الدراسة بالثانوية تخرج مالك بن نبي سنة1925. بدأت مداركه تتسع

1- فهمي جدعان ، نظرية التراث ودراسات عربية إسلامية أخرى ،دار الشروق ن الأردن ، ط1 ، 1985 ،ص132.
2-آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنود توينبي المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ،1989 ،ص :66.

وملاحظاته تزداد فتعرف على الطريقة العيساوية بقسنطينة واطلع على الأدب العربي والأدب الفرنسي [1] وأصبح همه الوحيد هو الحصول على شغل ليدفع عن نفسه وعن أسرته الفقر ونكبات الدهر وحينما لم يفلح في مسعاه[2] قرر بصحبة صديق له اسمه "قاواو" الاتجاه إلى فرنسا ، ولم يوفق في الحصول على أي عمل عاد إلى الجزائر واستقر ملاك بن نبي بمدينة تبسة واشتغل عونا بمحكمتهما سنة 1927 ثم عين كتابا في محكمة "آفلوا" من السنة نفسها ذالك انتقل إلى محكمة شلغوم العيد ليعمل بها.

وأمام مضايقات الاستعمار استقال ابن نبي من وظيفته واشتغل مع صهره وشريك ثالث ، وأقاموا طاحونة ليعملوا بها إلا أنه فشل في تحقيق النجاح إذ صادفتهم الأزمة الاقتصادية سنة 1929 فلجأ إلى بيع الطاحونة والتخلي عن المشروع.

عاد ابن نبي لقسنطينة وتعرف لأول مرة على الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر ، وإمام حاجته للعمل وإلحاح والديه عليه بالسفر مرة أخرى إلى فرنسى لم يجد خيارا وعزم الرحيل.[3]

المطلب الثاني :المرحلة الباريسية(1930-1956)

دخل كلية الهندسة في باريس ،وتخرج منها مهندسا كهربائيا سنة 1935، إذ كانت خبراته العلمية تؤهله للنبوغ في المجال التقني لا المجال النظري.

1-مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، دار الفكر ن لبنان ، 1983 ،ص24.

2- أحمد بناسي ، المدخل إلى فكر مالك بن نبي ، الجاحظية ، الجزائر ، ط1 ، 2006 ، ص14.

3- بن إبراهيم الطيب ، مالك بن نبي ، وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة ، دار منى ،2002 ،ص40.

عاش ابن نبي في عمق المجتمع الفرنسي ونظر إليه من الداخل في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون إليه من الخارج فكان لزاما عليه ليس الحفاظ على الذات وعدم الذوبان فحسب ، بل رفع التحدي والتصدي للأخر بأفكاره.[1]

بكل ثقة وفي خضم هذا الواقع الجديد قرر الزواج سنة 1931 من فرنسية أسلمت وأصبحت كما يقول نعم الزوجة ونعم العون له ووفرت له كل سبل الراحة مما جعله بتفرغ للنشاط مع زملائه من الطلبة ويتابع عن كثب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر ويؤازرها من فرنسا ما استطاع وهذا ماحال دون توظيفه وتحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية.هكذا وجد ابن نبي نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الاستعمار فيقول : "كنت أعيش بباريس وأحمل وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثرها الاستعمار على خصومه"[2].

أخيرا اختار الفكر الحضاري وعكف على الدراسات الاجتماعية والفلسفة النقدية للحضارة الغربية والإسلامية وفي هذه الظروف تعرف على شخصيات بارزة سياسية وثقافية منها ، المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيوس"[3] وتقابل مع الماهتما غاندي الهندي سنة 1932 أثناء زيارته لفرنسا وتعرف على أفكار الكاتب اللبناني شكيب أرسلان ن والتقى مع بعثة الأزهر بفرنسا وتعرف عليهم وكذالك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1932 بزعامة الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي ، هذه الأحداث واللقاءات والتحركات جعلته يقترب أكثر بإحساسه ونظره لمأساة بلده الجزائر ولمتغيرات العالم من حوله وما آل إليه الوضع العربي الإسلامي.كان مالك يرى أن من الواجب مقاومة ما فرضه الاستعمار عليهم من هيمنة وقهر ، في كل مجال تخصصه وكان يؤمن بالتغيير الذاتي فجاءت صرخته موقظة لشعبه وفاضحة للمستعمر وجاءت أفكاره في كتبه معبرة عن ضرورة التغييري.[4]

1-المصدر نفسه ،ص 42.

2-عبد اللطيف عبادة ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي دار الشهاب ، باتنة ،ط1 ،ص 12.

3- لويس ماسينسوس : من أشهر المستشرقين الفرنسيين في القرن العشرين بلغت آثاره أكثر من 650 وهو متهم من طرف مالك بن نبي في أكثر من موقف ، توفي سنة 1962.

المطلب الثالث : المرحلة القاهرية:(1956-1963)

سافر مالك بن نبي إلى مصر في هذه الفترة ، وكانت القاهرة مركز جذب هام للمفكرين والمثقفين وقلعة للدفاع عن القضايا القومية والإسلامية ، والدعوة إلى التحرر من الاستعمار الفرنسي والإنجليزي على السواء.

وجد في القاهرة الأرضية وموقع التغيير في العالم العربي والإسلامي ، وبها نسج عدة علاقات مكنته من معرفة كثير من المفكرين والعلماء المصريين كما أصدر بها بعضا من كتبه واتصل بالرئيس جمال عبد الناصر وقد خصصت له الحكومة المصرية مرتبا شهريا مما ساعده للتفرغ للعمل الفكري وإتقان اللغة العربية ، فكان يكتب ويحاضر بها وصار بيته فضاء فكريا وثقافيا يقصده الطلبة من عرب ومستعملين يستعملون لإلى أفكاره ويستفيدون من رؤيته لمسألة الإصلاح ومنهجية تغيير العالم الإسلامي . وأثناء وجوده في القاهرة زار أكثر من مرة سورية ولبنان لإلقاء محاضرات والندوات حول الإصلاح والثورة وكيفية مواجهة الاستعمار كما شارك في عدة مؤتمرات التي عقدت في السعودية والكويت وليبيا وغيرها.وكان مالك بن نبي أحد مستشري المؤتمر الإسلامي بالقاهرة وفيها كانت أغنى مراحل عطائه الفكري وفي مصر أيضا تعرف على المحامي اللبناني عمر كامل مسقاوي .

المطلب الرابع : مرحلة العودة إلى الجزائر(1963-1973)

حين وصل مالك بن نبي إلى الجزائر سنة 1963 بعد سنوات طويلة من مرحلة الاغتراب تولى عدة مناصب منها مستشار التعليم العالي ، ومدير جامعة الجزائر ومدير عام التعليم العالي ثم استقل من منصبه سنة1976.

ومنذ استقالته تفرغ للعمل الفكري وتنظيم الندوات الفكرية في بيته يحضرها أساتذة وطلبة الجامعة كما حاضر في جميع أنحاء الجزائر وجامعاتها ومعاهدها العليا وفي ملتقيات الفكر الإسلامي التي ساهم بقسط كبير في تتأسيسها ، وفي سنة 1972 قام بأداء فريضة

الحج وفي طريقه توقف في دمشق و ألقى بها محاضرتين كان لهما وقع متميز في نفوس الحاضرين.

وحملت تلك المحاضرتين عنوان دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين و"الأخرى" رسالة المسلم في الثلث الأخير من القررن العشريين " وبعد عام واحد من عودته من أداء فريضة الحج وأثناء رحلته إلى مدينة الأغواط في الجزائر كان يلقي بعض المحاضرات هناك اشتد به المرض وكان قد أصيب بسرطان البروتات سرى في الدماغ عن طريق العمود الفقري فسافر إلى باريس للعلاج فأجريت له عملية جراحية واسترد بعدها صحته نوعا ما لمدة عشرين يوما ثم اشتد عليه المرض فنصحه الطبيب المعالج بأن يعود إلى بلاده ، فعادوا به إلى الجزائر وبعد ثمانية[1] أيام توفي مالك بن نبي في 31 أكتوبر 1973 بعد عمر يناهز الثامنة والستين[2].

1-نور خالد السعد ،التغيير الإجتماعي في فكر مالك بن نبي دراسة بناء النظرية اجتماعية ، دار السعودية للنشر والتوزيع ط1 ،1997، ص29.

2- المرجع نفسه ، ص30.

المبحث الثاني : مصادر إشعاعه الفكري.

ساهمت عدة مصادر في تكيل فكر مالك بن نبي وصياغته نقف عند أهمها :

المطلب الأول : الثقافة العربية الإسلامية

سبقت الإشارة إلى الدور الذي قامت به التنشئة الأسرية في تشكيل شخصية مالك بن نبلي وإذا كانت الأسرة هي النواة أو الخلية الأساسية التي ينشأ الفرد في أحضانها فإن قصص جدته لأمه " الحاجة زوليخة" هي المدرسة الأولى التي تكونت فيها مداركه ، فقد كانت هذه القصص تدور حول العمل الصالح الذي يترتب عنه الثواب ويقرر مالك بن نبي بذالك فيقول"...وكانت هذه الأقاصيص تعمل على تكويني دون أم أدري فمنها عرفت أن الإحساس في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي...."[1] أما المدرسة فتعد فضاء تربويا يسهم أيضا في صياغة الشخصية فقد اعتبراها علماء الاجتماع مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الوسط المدرسي تلقى مالك بن نبي تكوينا علميا وأدبيا حيث درس التوحيد على يد شيخه "مولود بن موهوب " ويقول عنه مالك بن نبي "وقد تولى الشيخ مولود بن موهوب جذب أفكارنا وعقولنا إلى خط تلك الحركة التقليدية القديمة..."[2] حيث غرس في قلبه حب الحركة الإصلاحية وجذبه إلى خطها. كما درس الفقه والسيرة على يد شيخه عبد المجيد" في هذه السنة 1920 تلقيت على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس أو أسس الثقافة العربية ولقد تعلمت تصريف الأفعال والتمييز بها وحفظت شيئا من الشعر "[3] كما مكنته دروس الشيخ بن العابد من اجتناب الوقوع في متاهات الفكر الغربي إذ يقر مالك بن نبي قائلا "مذكرا قويا يعيد روحي إلى الطريق الصحيح"[4] كما تأثر بن نبي تأثرا كبيرا بالحركات الإصلاحية الإسلامية وبخاصة الحركة الإصلاحية بالجزائر وبرائدها الشيخ

1- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن، ص66.
2-المصدر نفسه ص88.
3- المصدر نفسه ص422.
4- المصدر نفسه ص67.

مكتبة النجاح أحدهما الينابيع البعيدة والمحددة لاتجاهي الفكري أعني بذالك كتاب "الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق " لمحمد رضا و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده" [1].

عبد الحميد بن باديس وتأثر أيضا بالحركة الوهابية في الحجاز وبالحركة الإصلاحية في المشرق ، ومن شخصياتها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد. وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي " كان آخر هذه المؤثرات كتابات عثرت عليها في

وكذلك لكتاب" عبد الرحمان الكواكبي" (أم القرى) أثره هو الآخر على فكر بن نبي ونفسيته إذ يقول " لم أكن أشك بأنه كتاب خيالي ولكن في نفسي كان عميقا"[2].

وتأثر مالك بن نبي أيضا بمقدمة بن خلدون "ومروج الذهب "للمسعودي وكتالي "النظارات" والعبارات" للمنفلوطي كما كان لأفكار "زكي مبارك" الموجهة ضد الصوفية والطرفية أثرها الواضح على الموقف مالك بن نبي الهجومي ضد الطرقية في الجزائر[3].

ويعتبر حمودة في فكره تلك القفزة النوعية من دراسة العلوم البحتة إلى علوم الإنسانية " بن الساعي الذي كان يذكرني لم يكون مخلص ذكيا ومثقفا بالعربية والفرنسية فحسب بل هو شخص مثالي وقدوة" [4].

كان حمودة بن الساعي يعلم ويوجه " مالك" خاصة في كيفية تفسير الآيات القرآنية تفسيرا اجتماعيا .ويعد القرآن الكريم الباعث الروحي والأساس الأول في تكوين مالك بن نبي فقد وضع في الدراسات القرآنية أول مؤلف له.

1-المصدر نفسه ص66.
2-المصدر نفسه ص88.
3-المصدر نفسه ص422.
4-المصدر نفسه ص67.

المطلب الثاني : الثقافة الغربية

تلقى مالك بن نبي عن المدرسة الفرنسية بالجزائر حب المطالعة والاستفادة من المنهج الديكارتي العقلاني كما طالع الصحف والمجلات الغربية وخاصة الجرائد الماركسية كجريدة الإنسانية والكفاح الاجتماعي (l' humanité) و (lutte sociale) يقول مالك بن نبي في تجربته الجزئية مع الجرائد الفرنسية "اخترت بين قراءتي السياسية صحيفة شيوعية الإنسانية كانت تروي أكثر من ضمني الوطني... قرأت أيضا الكفاح الاجتماعي التي يصدرها فكنور سبولمان وكانت تأتينا إلى الجزائر بصورة متقطعة"[1] وهذه الصحف التي تمثل الاتجاه الماركسي قد كشفت لمالك بن نبي عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية والقوانين التي تحرك المجتمع كما ساهمت في تشكيل ثقافته الاجتماعية حيث اطلع على مؤلفات ماركس ولنين واستطاع خلال وجوده بفرنسا أن ينمي ويوسع تأملاته الفكرية والأدبية حيث قرأ لمشاهير الأدباء الفرنسيين أمثال " لمرتين" و "فيكتور هيجو "ما تأثرت ببعض الفلاسفة والمفكرين الذين تركوا بصمات واضحة في الثقافة الإنسانية المعاصرة ، نذكر منهم نيتشه وكانط وجون ديوي " فقد كتاب نيتشه " هكذا تكلمزرادشت" وأخذ عن كانط فكرة الحق والواجب التي أسس عليها مفهوما للعدالة اجتماعية حيث نرى ذالك في كتاب "المسلم في عالم الاقتصاد " واطلع أيضا على كتابات المستشرقين عن الإسلام مثل كتاب أجين يونغ .الإسلام بين الحوت ووالدب (l'islam entre la baleine et l'ours وكتاب هنري بيرير" محمد وشرلمان"[2] كما اطلع على كتابات المؤرخ الفرنسي جيزو وولتر شوبرت; , walter schubart وقرأ للفيلسوف الأماني اسوالد شبنغلر مؤلفه الضخم "تدهور الحضارة الغربية "[3].

وكان للمؤرخ ارنولد توينبي arnold toynbee صاحب مؤلف "دراسة التاريخ " أثر كبير في فكر مالك بن نبي وفي نظرته للحضارة ، حيث استمد منه فكرة التحدي ودورها

1- مذكرات شاهد القرن

2- مالن بن نبي ، شروط نهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين دار الفكر دمشق ، 1987ص69و71.

3- ينظر : بن براهيم الطيب ، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار المشتركة ، ص50.

نشوء الحضارات فصاغها صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم ويتجلى ذالك في كتابه" ميلاد مجتمع"[1].

وأخذ عن الفيلسوف الأماني هرمان كسرنلنج keyserling كرة البدايات الدينية لكل الحضارات التي عرفتها الإنسانية ويتضح ذالك في كتابه "شروط النهضة".[2]

ومن خلال ذالك يتبين لنا الدور الكبير الذي لعبه المنبعان الثقافيان العربي الإسلامي والغربي في تكوين شخصية مالك بن نبي الفكرية والمثقفة حتى أصبح مفكرا له وزنه في العالم الإسلامي.

1- ينظر : مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ت عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ط 1986، ص54.

2- ينظر : مالك بن نبي ، شروط النهضة ــ ت عمر مسقاوي ، دار الفكر ، دمشق ط2 ،1987 ،ص 80.

المبحث الثالث ـ تراثه الفكري

يصدق على مالك بن نبي رحمه الله قول صديقه الدكتور عبد العزيز الخالدي في تقديمه لكتاب " شروط النهضة "فيقول : " وبن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا ، أو عاملا في مكتب منكبا على أشكال خامدة من الورق والكلمات ، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورته الخلقية والاجتماعية. وتلك هي المأساة التي شعر بها مالك بن نبي بكل ما فيه من شدة ، وبك من صادف في تجاربه الشخصية النادرة من القسوة ، وهي التي تقدم المادة الأساسية لمؤلفاته"1 ويصدق عليه قول الأستاذ محمد المبارك في تقديمه لكتاب " وجهة العالم الإسلامي".

إن مالكا يبدو...في جميع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب ، بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرة الفيلسوف المفكر ومنطقة وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره ، وأن آثاره فب الحقيقة تحتوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في بلاد العرب أولا وفي بلاد الإسلام ثانيا أرها المنتج وقوتها الدافعة.

وفعلا فإن الدارس لمؤلفاته يدرك أنه صب فيها عصارة تجاربه وانه كان يتفعل مع الأحداث بكل كيانه ووجدانه ، وانه كان ينظر إلى الأمور بمنظار الإسلام ويخضعها إلى معاييره ، فجاءت آثاره في مجموعها معبرة عن هذا الاتجاه ، أما عم مؤلفاته فيمكن حصرها في :

المطلب الأول : مؤلفاته المطبوعة

امتاز تلك بن نبي بغزارة الإنتاج فترك العالم الإسلامي كتبا قيمته أصدره جميعا تحت عنوان " مشكلات الحضارة" هي كالتالي :

---

1 مالك بن نبي ، شروط النهضة ــ ت عمر مسقاوي ، دار الفكر ، دمشق ط2، 1987 ،ص 81.

1/ كتاب الظاهرة القرآنية : وصدر سنة 1946 وهو يعد من أروع أعمال مالك بن نبي وأعمقها ، وقد تعرض لعملية حرق في صورته المخطوطة في ملابسات وظروف خاصة ، ثم أعيد جمع عناصره المتبقية وتأليفه من طرف مالك بن نبي.[1]

2/ كتاب شروط النهضة : وهو كتاب عظيم القيمة أبرز فيه مالك بن نبي مزايا وفضل الحركة الإصلاحية في الجزائر خاصة وفي العالم الإسلامي عامة ، بالإضافة إلى سلبياتها وضعفها ، ثم رسم معالم الطريق إلى الحضارة المنشودة [3].

3/كتاب لبيك:

صدر سنة سنة 1947 ، وهو القصة الوحيدة لمالك بن نبي وقد اتصل به سنمائيون فرنسيون بمجرد صدورها قصد إخراجها كفيلم ن لكن مالك بن نبي رفض الفكر لأنه شعر بأنهم يهدفون من وراء تلك إلى تحويل وجهته نحو قضايا هامشية لا تتماشى مع توجهاته الفكرية ومبادئه الإصلاحية.

4/كتاب وجهة العالم الإسلامي :

وهو أحد أهم كتبه صدر سنة سنة1945 ، سنة قيام الثورة الجزائرية تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته ومحاولات نهضته ويعد هدا الكتاب آخر كتبه بفرنسا قبل أن ينتقل إلى مصر للإقامة بها.

5/ كتاب الفكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ : صدر سنة 1956 ، وهو كتاب يبرز مدى تأثير فكرة عدم الانحياز في مالك بن نبي واعتقاده بأنه بإمكان دول عدم الانحياز تشكيل كتلة عالمية ثالثة هدفها ضمان السلام العالمي.

1-عبد اللطيف عبادة ، نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي ، عالم الأفكار ، الجزائر ، ط2 ، 2007 ص5.
2-نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي العربي ، يوسف حسين، ص17
3- المرجع نفسه ،ص 18.

وتقديم البديل الحضاري للإنسانية لأنها تمتلك بحق شروط هذا البديل الحضاري للإنسانية[1].

6/ كتاب مشكلة الثقافة :

صدر سنة 1956 بالقاهرة ، وهو تطوير لما كتبه مالك بن نبي عن الثقافة في كتابه "شروط النهضة "و "الفكرة الأسيوية "[2] ذلك أنه شعر بالحاجة إلى جمع أفكاره حول الثقافة وعرضها من جديد في صورة تحليلية تحفز الفكر العربي والإسلامي وتحركه باتجاه اكتشاف الحقائق والمصطلحات بوسائله الخاصة ، ووفق بين المعطيات النابعة من تجربته ولذلك فقد جاءت أفكار مالك بن نبي حول مفهوم الثقافة برؤية جديدة ، لم تألفها المصطلحات المستوردة التي تمت صياغتها في إطار الفكر اللبرالي ، أو في إطار الفكر الاشتراكي التقدمي.[3]

7/ كتاب النجدة... الشعب الجزائري يباد :

وهو كتيب عن الإبادة التي تعرض إليها الشعب الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي الوحشي وظهر سنة 1956 ، في القاهرة [4].

8/ كتاب الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم :

والدفع إلى إصدار هذا الكتيب هو محاولة الاغتيال التي تعرض لها مالك بن نبي في القاهرة سنة 1960.[5]

9/ كتاب الصراع الفكري في البلاد المستعمرة :

1-أحمد بناسي المدخل إلى فكر مالك بن نبي ، ص18.
2-يوسف حسين نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، ص19.
3-ينظر : مالك بن نبي مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر دمشق ط4 ،1984، ص127.
4-مالك بن نبي مشكلات الحضارة ،ترجمة أحمد زكي ،دار الفكر ،دمشق ،ص48.
5- يوسف حسين نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحدي، ص34.

ظهر في سنة 1960في القاهرة وهو أول محاولة لمالك بن نبي في الكتابة باللغة العربية مباشرة[1].

ويلخص بقوله "... فهذه الصفحات تعتبر إذن محاولة للتوفيق بين واجب الصمت وواجب الكلام ، ولعل القارئ الشاب يجد فيها المنبه الذي يلفت نظره إلى واقع الصراع الفكري"[2].

10/ كتاب تأملات : صدر سنة 1961 في القاهرة ، وهو يشمل كتابيه "حديث في البناء الجديد "الذي صدر سنة 1960 و"تأملات في المجتمع العربي"الذي ظهر عام 1961 .[3] وعن كتاب "تأملات" قال المحامي عمر مسقاوي" وحينما الأستاذ رحمه الله بطبع كتبه من جديد ،شاء ان يعطي لتأملاته شمولا يتلاءم مع نطقها ، فهو إذ تحدث عن المجتمع العربي فإنما يعالج الظواهر المرضية التي انتشرت في العام المتخلف إلى مستوى المشاركة في مسيرة العالم"[4].

11/ كتاب إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث :

صدر سنة 1970 في القاهرة ، وفيه يبين مالك بن نبي أن الإنتاج الإستشراقي كان شرا على المجتمع الإسلامي ، فنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح ، أو الإطراء التي حولت تاملاتنا عن واقعنا في الحضارة وأغمستنا ، في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا.[5]

12/ كتاب مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي :

1–عبد اللطيف عبادة ، نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي ،ص9.
2–ينظر : مالك بن نبي الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، دار الفكر ، دمشق ، ص4–11
3––عبد اللطيف عبادة ، نصوص مختارة من مؤلفات مالك بن نبي ، ص9.
4–مالك بن نبي ، تأملات ، ترجمة عمر مسقاوي ، ص9
5– يوسف حسين ، نقد مالك ن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث ، ص24.

وهو كتاب جمع مالك بن نبي المدة الضرورية لإتمام تأليفه سنة 1960 بالقاهرة ، ثم طرأ طارئ الصراع الفكري فحبسه عنه ، واضطره إلى الشروع في تأليفه كتابه "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة" الذي أصدره في نفس السنة، وفي سنة 1970 اقتنع مالك بن نبي بضرورة استئناف كتابه"

مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي" وطبعه فكان ذلك[1].وفي مقدمته حدد الهدف من تأليفه فقال :

"ونعتقد أن هذا الكتاب يعطي فكرة على درجة كبيرة من الصواب عن أهمية هذه المشكلة ليس فقط المجتمع الإسلامي وإنما أي مجتمع إنساني ، وإذا وفقنا الله في توضيح هذه الفكرة بدرجة كافية فإن الهدف المنشود من هذا الكتاب يكون قد تحق.[2]

13/ كتاب المسلم في العالم الاقتصاد :

صدر سنة 1972 في بروت ، وفيه يقول مالك بن نبي محددا الهدف من تأليفه :"وهذه الدراسة بالذات هي مجرد محاولة تصفية لموضوع الاقتصاد من الجوانب الإضافية التي تطرأ عليه في صورة ضرورية فنية تنشأ في الطريق أو كضرورة سياسة تسلط عليه لمراقبة عمليتي الإنتاج والتوزيع طبا لمبادئ ومساهمات مذهبية معينة"[3].

14/ كتاب بين الراشد والتيه :

وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها مالك بن نبي بالفرنسية ونشر معظمها في جريدة الثورة الإفريقية la révolution africaine أثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال مباشرة ، فجمعها في عام 1972 ، وترجمها إلى اللغة العربية ،ثم حدد فصولها واختتامها بكلمة عن الصراع الفكري غير أن الكتاب لم يتم طبعه إلا بعد وفاة مالك بن نبي ، كان ذالك بطرابلس عام 1978.[4]

1-المرجع السابق، ص33.

2-مالك بن نبي مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة محمد علي ، مكتبة عمار ، القاهرة1971، ص3.

3- مالك بن نبي المسلم في عالم الإقتصاد ،ص112.

4-مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ، دار الفكر ، دمشق ،ط2، ص214.

15/ كتاب مجالس دمشق : عبارة عن محاضرات ألقيت في عامي 1972-1972 ، وهذا الكتاب زبدة تلك المجالس ،وفي مقدمة هذا الكتاب يقول عمر مسقاوي :

"مخطوط مجالس دمشق لم يصل إلى يدي ، إذ كان بن نبي قد جمعه وهو في دمشق ونقحه ثم تعاقد مع دار الشروق لكي تنشره كتابا وأنا اعتمدت في هذا كله على بعض الوثائق"[1]

16/ كتاب فكرة كمنويلث الإسلامي :

ظهر سنة 1960 بالقاهرة ، وهو عبارة عن مقالات كتبها ونشرها بن نبي في باريس في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات في صحيفتين جزائريتين ناطقتين باللغة الفرنسية هما "الشباب المسلم "و "الجمهورية الجزائرية"

وحين حل بالقاهرة عام 1956 ترجمت هذه المقالات إلى اللغة العربية فكانت الطبعة الأولى عام 1961 تحت عنوان في مهب المعركة" [3].

18/ كتاب ميلاد مجتمع في شبكة العلاقات الاجتماعية :

صدر سنة 192 في القاهرة ، ويقدمه المحامي عمر مسقاوي في طبعته الثانية عام 1974 بقوله : و" ميلاد مجتمع هو الجزء الأول من دراسة لم يتمها المؤلف ، لكنه يستقل

1-مالك بن نبي ، مجالس دمشق ،دار الفكر ،دمشق،2005،ص9.

2-مالك بن نبي ،فكرة كمنويلث إسلامي ،دار الفكر ،دمشق ،2002،ص12.

3-مالك بن نبي، في مهب المعركة ،دار الفكر ،دمشق ،ط3،1981،ص7.

في بحث متكامل عن "شبكة العلاقات الاجتماعية" والكتاب نظرة تحليلية لمكونات المجتمع "[1].

19/ كتاب آفاق جزائرية :

صدر سنة 1964 في الجزائر ، حيث يتضمن ثلاث محاضرات الأولى تحت عنوان"مشكلة الحضارة" وألقيت بالفرنسية في الجزائر العاصمة بتاريخ 1964/01/09م ،الثانية بعنوان "مشكلة الثقافة"وألقيت في الجزائر العاصمة باللغة الفرنسية بتاريخ 1964/01/15م ،وباللغة العربية في مدينة قسنطينة بتاريخ 1964/01/30م ، والثالثة تحت عنوان " مشكلة المفهومية" وألقيت باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة بتاريخ1964/02/24م ونشرت كاملة بجريدة "الشعب" الفرنسية في فيفري 1964م [2].

20/ كتاب مذكرات شاهد القرن :

ويتكون من قسمين القسم الأول أصدره مالك بن نبي عام 1966م في الجزائر باللغة الفرنسية ، ثم ترجم إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ مروان قنواتي وصدر في نهاية الستينات.

أما القسم الثاني فقد صدر في بداية السبعينات ،وترجمه مالك بن نبي بنفسه إلى اللغة العربية ، ولما أعيد طبع الكتاب من جديد ثم إدماج القسمين في طبعة واحدة(الطفل-الطالب) [3]،وأعيدت ترجمة القسم الأول كما صرح بذلك المحامي عمر مسقاوي :

"فالترجمة الحاضرة للقسم الأول من الكتاب ترتكز في أساسها على النص الفرنسي وعدتها ترجمة الدكتور النعنعي ، لكننا استفدنا كثيرا من جهود الأستاذ مروان قنواتي"[4].

21/ كتاب دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين :

وهو عبارة عن محاضرتين ، الأولى تحت عنوانك"دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين "،كان قد ألقاها في رابطة الحقوقيين بدمشق في 23 آذار1972م ، والثانية تحت

1-مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ،ط1،1986،ص8.
2-مالك بن نبي ،آفاق جزائرية ،دار الفكر ، دمشق، 2005،ص9.
3-يوسف حسين ،نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي ،ص24.
4-مالك بن نبي ،مذكرات شاهد للقرن ،دار الفكر ،دمشق ،ص10.

عنوان :"رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين"، ألقاها في مسجد المرابط بدمشق في 22 آيار 1972 ، وقد تم طبع وإصدار هاتين المحاضرتين في كتيب سنة 1978م بدمشق[1].

المطلب الثاني : آثاره المخطوطة والمسجلة في أشرطة.

بالإضافة إلى مؤلفاته المطبوعة تترك مالك بن نبي مجموعة من الآثار المخطوطة والمسجلة في أشرطة وهي كما يلي :

1-خطاب مفتوح لخروتشوف وايزنهاور.

2-دولة المجتمع الإسلامي.

3- مذكرات شاهد للقرن(القسم الثالث).

4- العلاقات الإجتماعية وأثر الدين فيها.

5-نموذج لمنهج ثور

6- المشكلة اليهودية

7- العفن

8- اليهودية أم النصرانية

9- دراسة حول النصرانية

10- مجالس تفكير(محاضرات كان يلقيها في منزله في الجزائر بعد الإستقلال).

المطلب الثالث : كتب لمالك بن نبي نشرت حديثا باللغة الفرنسية.

1/Malek bennebi .les grandes thémesè perface et annotation par nour-eddine boukrouh copyrighte Omar Beneissa 1976.

2/Malek bennebi pour chager L Akgerie perface par nour-eddine boukrouh societe d édutuin rt communicationW-Tipaza.S6D1

1- مالك بن نبي ندور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، دمشق ،ط2،2007،ص7.

المطلب الرابع : مكانته في أوساط المثقفين

نكشف من خلال رصد مؤلفات مالك بن نبي والإطلاع عليها إن هذا المفكر كان يتصور أن مشكلات العالم الإسلامي مهما اختلفت وتنوعت هي مشكلة حضارة ومشكلة ثقافة ، وقد مكنته ثقافة الواسعة بشقها العربي الإسلامي والغربي من تشكيل نظرية شمولية الحضارة.

يقول مبارك الملي "وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها ،ومعرفته بمصادرها ومواردها لدوافعها الخفية وبواعثها العميقة ولاسيما أنه جمع إلى جانب الثقافة العلمية ، ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء ، كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته"[2].

لقد أثارت شخصية مالك بن نبي إعجاب الكثير من الفكر العربي والإسلامي ، وهذا الإعجاب والتقدير مس جوانب عديدة من سلوكياته ومزاجه وطرق تفكيره ، ومن الشهادات الحية التي تبرز الإعجاب والتقدير شهادات مسجلة ومكتوبة اعترف بها تلامذته وأصدقاءه ومترجمو أعماله الفكرية وبعض المهتمين بمشكلات الحضارة.

ولن نستعرض كل الشهادات ونكتفي بعرض نماذج تبر أصالة شخصية مالك بن نبي :

1/مصطفى السباعي(1915-1964 مؤسس حركة الإخوان المسلمين في سوريا ، انشأ جريدة المنار وهو أول عميد لكلية الشريعة بجامعة دمشق).

2/ سعيد جودت بن محمد :(مفكر سوري ولد عام 1931 يعتبر امتداد لمدرسة المفكرين الإسلاميين الكبار : الأستاذ مالك بن نبي ومن قبله محمد إقبال).

1-مالك بن ابراهيم الطيب نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة،ص48.

2- يوسف حسين ،نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي ،ص32.

3-مالك بن نبي ، مقدمة كتاب وجهة العالم الإسلامي محمد المبارك ،ترجمة عبد الصبور شاهين،دار الفكر ، دمشق ،ط5،1986،ص9.

4-أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ن ط2،1986،ص20.

"في الواقع لم أتمكن في أول المر من إدراك أبعاد الفكر بوضوح ، ولكن فهمت أني أمام نموذج جديد من البحث ، وأحسست بومضات في الفهم ، مما أشعرني أني عثرت على شيء كنت أبحث عنه"[1]

3/أحمد أنور سيد أحمد الجندي(1917 أديب ومفكر إسلامي مصري صنف ما يربو على مائتي كتاب وأكثر من ثلاث مائة رسالة).

"مالك بن نبي يختلف كيرا عن الدعاة والمفكرين والكتاب ،فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية انه يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم ،وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان والمسيحية"[2]

4/محمد المبارك(عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق)

"الأستاذ مالك عربي مسلم ، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء،وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها"[3].

5/ عمر كامل مسقاوي (محامي ومفكر ومترجم أعمال مالك بن نبي)

"تنطلق أفكار مالك بن نبي لا لتصنيف في المجتمع الإسلامي في معرفة جديدة بالفقه أو علم مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة ، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة"[4].

1-سعيد جودت،مقدمة كتاب مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ،دار الفكر، دمشق، ص7.

2-أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ،ص22.

3-مالك بن نبي ، مقدمة كتاب وجه العالم الإسلامي ، محمد المبارك ، ص9-10.

4-أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، ص21.

عوامل شتى خارجية وداخلية دفعت بمالك بن نبي حتى يكون ما يكون ، غربة حادة في فرنسا ومصر ، وحبست روحية خصبة ن كلها أوقدت في ذاته صحوة روحية قادت سفينة حياته نحو تخوم ترضى توقه العميق للخلود... وقد كملت الشعيرات البيض الزائدة لرأسه مهرجان النور في صحته بدلالاتها المتوهجة ووجهة سطو فكره سوط روحه ، كما فتحت زياراته إلى أماكن عديدة ولقاءاته مع الكثير من المفكرين والسياسيين الكبار على الساحة العربية والعالمية آفاق جديدة في تصوره الغيبي إدماجه في الفضاء الأخر بكل إيحاءاته وأسراره ...أما القرآن الكريم فكان يصنع في داخله معمارا جديدا أصيلا ويضرم نار توحده ويؤصل في ذاته الحنين إلى التبليغ الرسالي...طبيعته الشاعرية المرهفة الموزعة بين التوق اللامحدود وبين شد الواقع المحدود... وصلاحه الذي أزهده في زينة الأرض الخادعة ميله الجارف للتبليغ ألح عليه ليشجه إلى مصر وفرنسا ليقتني من العلم والفكر ليصنع أدوات الحضارة فكان رجل القدر حقا.....

الفصل الثاني

الفصل الثاني : ماهية الصراع الحضاري

المبحث الأول : مفهوم الصراع

المبحث الثاني : مفهوم الحضارة

المبحث الثالث : مفهوم الصراع الحضاري

المبحث الرابع : إشكالية الصراع الحضاري

المبحث الخامس : الصراع الحضاري في العلاقات الشرقية الغربية.

المبحث الأول : مفهوم الصراع

التصارع بين العلم واللاعلم ، بين تفكير النخبة وتفكير العوام ، بين الثقافة المتداولة في المخابر العلمية والمعامل والثقافة المنتشرة في الأسواق والمعابد والأزقة والبيوت ن هذا الصراع بين العالم والفرد العادي هو تصارع عريق عراقة الفكر البشري وحضارته ، كما أ هذا الصراع لا يخفيه إلا من كانت غايته تزييف قصة الإنسان والحضارة والعلم وذلك من منطق الصراع بين العقلين هو ما كان يكتب التاريخ وينسج نسيج هذه القصة الطويلة. بل إن العلم الذي انشأ الحضارة وهندسة الإنسانية إنما نشأ من أحضان هذا الصراع من خلال ما جاء نعرف الصراع كالتالي :

المطلب الأول :المفهوم اللغوي

جاء في لسان العرب وتاج العروس :

صرع : الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان ، صارعه فصرعه يصرعه صرعا ، وصرعا ،الفتح لتميم والكسر لقيس، عن يعقوب فهو مصروع ، وصريع والجمع صرعي والمصارعة[1].

والصراع : معالجتها أيهما يصرع صاحبه ، وفي الحديث مثل المؤمن منا يزرع الزرع تصرعها الريح مرة وتعدلها أخرى أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب والمصرع موضع ومصدر.

قال هوبر الحارثي:

بمصرعنا النعمان يوم تألبت.....علينا تميم من شظى وصميم

تزود منا بين أذنيه طعنة.....دعته إلى هابي التراب عقيم[1].

1-الزبيدي الحنفي نتاج العروس من جواهر القاموس ،دار الفكر، بيروت، ط1،1994، ص55.

وجاءت كلمة"مرة واحدة في القرآن الكريم: قال تعالى:"فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية" – سورة الحاقة – الآية7.

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي

الصراع في الأصل نزاع بين شخصين يحاول كل منها أن يتغلب على الآخر بقوته المادية كالصراع بين الأبطال الرياضيين أو الصراع بين الدول في الحروب[2]، ويطلق الصراع مجازا على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى وهو ظاهرة كونية تجسمت في سلوك الإنسان الحركي والفكري وبالقد الذي يكون فيه الصراع ضرورة تتطلبها حتمية الدفاع عن الذات وإثباتها في وجه الآخر"الخصم"[3].

بدأ الصراع في الكون مع بداية الحياة ، فالأحياء يتصارعون من أجل البقاء ،أو من أجل السيطرة،أو السيادة أو الحكم ،أو الحياة أو بسبب الجهل المطبق.

لقد كانت فكرة الصراع في الأساس موجودة في عالم الحيوانات على شكل قتال ضار ،تتم فيه سيطرة القوي على الضعيف عن طريق القتل والبطش وسفك الدماء[4].

إما أن يكون الصراع صراع الحضارات فهذا أمر آخر،وجدناه في حضارات الشعوب يأخذه عدة أوجه :ثقافية ، اقتصادية وسياسية وعموما"فمفهوم الصراع في أبسط معانيه وأبسط حدوده يعني الموقف المتعارض بين اثنين أو أكثر من الفاعلين

1-ابن منظور،لسان العرب، دارصادر، بيروت، ط1،1997، ص197.

2-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1،1971، ص725.

3-بوجمعة الوالي، الصراع الحضاري في الرواية العربية،إشراف دكتور واسني الأعرج، رسالة ماجستير،جامعة الجزائر1993-1994، ص07.

4-ينظر:ميخائيل مسعود+سعيد الجبلي،الحضارات بين الصراع والمؤسسة الحديثة للكتاب لبنان،2009، ص227.

الاجتماعيون حول قضية ما في البناء الاجتماعي، ثقافية كانت أو اقتصادية أو سياسية"[1].

وهو أيضا "النزاع والمغالبة بين القوى المتخالفة أو المتباينة كالصراع على الاختصاصات،وصراع المصالح وصراع القوانين والصراع المسلح بين الدول"[2].

أما مفهومه من الناحية النفسية فهو:"وجود دافعين أو رغبتين متعارضتين أو ينتج عن وجود حاجتين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي والقلق والاضطراب في الشخص وهو من أهم الأسباب النفسية المسؤولة عن المرض النفسي"[3].

أما من الناحية الإعلامية فهو :"وجود ألوان متعددة من الصراع وهي التي تعطي بعض جوانب الحياة طابعها الدرامي والخبر الصحفي لابد أن يشبع لدى القارئ رغبته في تتبع هذا الجانب الدرامي من الحياة فالصراع يشكل أحد مراكز الاهتمام الرئيسية عند الإنسان"[4].

أما من الناحية السوسيولوجية : إن علماء الاجتماع يربطونه بالنظم السائدة وأول مفكر تطرق إلى ظاهرة الصراع العلامة"عبد الرحمان ابن خلدون"الذي يربطه بعامل العصبية القبلية ذلك أن العصبية بها تكون الحماية والمرافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه...وأن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاج ونفي كل اجتماع إلى وازع وحاكم لبعضهم البعض،فلابد أن يكون متغلبا علهم بتلك العصبية"[5].

وتأسيسا لما سبق ندرك ان ابن خلدون في نظرته إلى الصراع يربطه بعامل المالك والتضامن الداخلي والكفاح من أجل البقاء من هذه المقاربة التي أجمعت على

إن الصراع غريزة فطرية في ذات الفرد وردة فعل مكتسبة تفرضها وتنميها الظروف الاجتماعية التي تنموا فيها ،نستنتج أن الأصل الذي ينبت منه نفسي،ذلك أن المجتمع يحاول أن يمارس ضغوطا متعددة على أفراده مما يثير فيهم غريزة العداء فتكون النتيجة الصراع والاعتراض والتمرد وكل هذا مرتبط باختلاف الزمان والمكان.

1-نازك ساسايارد،الراحلون العرب وحضارات الغرب،مؤسسة نوفل، بيروت،1979، ص10

2-عبد المنعم الحنفي،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،مكتبه مدلولي،القاهرة، ط3، 2000 ص464.

3-سميرة البدري،مصطلحات تربوية ونفسية،دار الثقافة للنشرنعمان،ط1،2005، ص106.

4-محمد جمال الفار،المعجم الإعلامي،دار أسامة، الأردن،ط1، 2005، ص106.

5-عبد الرحمن ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون،دار الكتاب اللبناني،بيروت،المجلد الأول ،ط2،1961، ص244.

المبحث الثاني : مفهوم الحضارة

إن موضوع الحضارة موضوع متفرع ومتشبع،وقد تعرضت كلمة"الحضارة" عبر التاريخ إلى التطور والتغيير واختلف معناها بين مدرسة وأخرى ويعد مفهومها من الإشكاليات التي تعددت حولها النظريات،ومن القضايا التي درسها العديد من المفكرون والفلاسفة،حيث بحثوا في أسباب نشأة الحضارات وتطورها و انهيارها وكشفوا عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تلحقها.

ويعتبر مالك بن نبي من المفكرين الذين اعتنوا بدراسة الحضارة ،فقد احتلت مكانة جوهرية في نظرته الاجتماعية إن لم نقل إنها الإشكالية الأساسية التي يتحرك في حدودها كل تفكيره يقول محمد عبد السلام :"لقد عاشت فكرة الحضارة في عقله ووجدانه،وشغلت تفكيره في كل كتاباته،إلى درجة نستطيع أن نقول معها أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يشهد تقريبا مفكرا شغلته قضية الحضارة مثل مالك بن نبي ،الذي يعتبر شخصية فكرية خصبة جديرة بالدراسة ،وهو المفكر الذي يهتم بالجانب الحضاري وفلسفة التاريخ والاجتماع ،وشغلته مشكلات أمته فعالجها بروح موضوعية"[1].

المطلب الأول: المفهوم اللغوي

تعرف كلمة الحضارة في معجم متن اللغة[2] كما يلي : الحضارة:ضد البداوة، والإقامة في الحضر–اخص من ذلك– الطباع المكتسبة في الحضر وأطلق مجتمع مصر اسم الحضارة على ما يسمى بالفرنسية–civilisation– واسم التحضير والتمدن على ما يسمى بالإنجليزية–urbanisation–

1–زكي الميلاد،مالك بن نبي ومشكلات الحضارة دراسة تحليلية ونقدية، ص73.

2–العلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا،معجم متن اللغة من موسوعة معجم متن اللغة ،موسوعة لغوية حديثة، بيروت،ج2،1958، ص111.

في تاج العروس [1] فقد قال الزبيدي : الحضرة محركة والحضرة بفتح السكون والحاضرة والحضارة بالكسر عن أبي زيد وبفتح عن الأصمعي خلاف البادية والبداوة والبدو والحضارة بالكسر الإقامة في الحضر،والحضر هي المدن والقرى والريف وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار.

ومن المعجم الوسيط[2] الحضارة الإقامة في الحضر ،قال القطامي:

ومن تكن الحضارة أعجبته.....فأي رجال بادية ترانا.

ويقول جميل صليبا في معجمه:"لقد فرق ابن خلدون في مقدمته بين العمران البدوي والعمران الحضري وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود"[3]

.فالبداوة ونهاية العمران أما في الغرب فإن كلمة حضارة تقابل كلمة توحش أو همجية، والحضارة عندهم أيضا هي مجموعة الآراء والعادات والتقاليد التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدين والفنون الجميلة والعلوم[4] ويرى مالك بن نبي أن لفظ"الحضارة" قد استعمل لأول مرة في القرن التاسع عشر بمعنى أنه تفسير للواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معنية[5].

المطلب الثاني : المفهوم الاصطلاحي:

لقد عرفت الشعوب والأمم الحضارة منذ القدم وعبرت عن مظاهرها وأبرزتها بأشكال وألوان مادية ومعنوية مختلفة ،تختلف من شخص لآخر ومن عصر لآخر.

1-الزبيدي، تاج العروس، ص146.
2-إخراج إبراهيم مصطفى، أحمد حسين الزيات، عبد القادر النجار، المعجم الوسيط، ج1، ص180.
3- جميل صيبا، المعجم الفلسفي،ص153.
4-آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي،ص18.
5- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، ص62.

وفي جميع الحضارات التي عرفتها البشرية كان الإنسان هو المحور الرئيسي الذي يدور حوله كل نشاط حضاري[1].

إذا أردنا تعريف الحضارة فلا نجد لها تعريف واحدا اتفق عليه المفكرون والمؤرخون فقد ذهب كل يجتهد بتعريف خاص ينسب له ،ونحاول هنا أن نورد بعض التعاريف :

يقول الدكتور حسين مؤنس في كتابه"الحضارة دراسة وأصول وعوامل قيامها وتطورها"الحضارة هي:-ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حيلته سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود سواء كانت الثمرة مادية أو معنوية"[2]

ويعرف تايلور الحضارة قائلا:"إنها ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن ،والخلفيات ،والقانون والعادات وكل القدرات والإعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع".[3].

ويعرف شبنغلر الحضارة قائلا :"ليست الحضارة شيئا عظيما فقط بل إنها شيء لا يمثله أي شيء أخر في هذا العالم العضوي،فهي النقطة الواحدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعة ويصبح هو نفسه خالقا."[4]

1- بن ابراهيم الطيب ، مالك بن نبي وابن خلدون مواقف وأفكار مشتركة،ص53.

2-حسين مؤنس ، الحضارة دراسة ف أصول وعوامل قيامها وتطورها ، المجلس الوطني للثقافة ،الكويت ،ط2،1998،ص19.

3- آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وارنولد توينبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1989،ص18.

4-أسوا لد شينغلر،تدهورالحضارةالغربية، ترجمةأحمدالشيباني،جزء الثاني دارالحياة،بيروت،ص487.

أما ابن خلدون فيقول :"والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله"[1].

أما توينبي فيتوغل في البحث والتفتيش عن معرفة البداية الأولى للحضارة وتاريخ ظهورها الأول إذ يقول توينبي:"إن وعي الإنسان لنفسه أو ميلاد ما يسمى بالضمير يعتبر تاريخ بداية حضارة الإنسان أو بداية وجوده كمخلوق متميز بنفسه عن سائر الحيوان وقادر على صنع الحضارة ومدرك لبعض القيم الإنسانية"[2].

أما الحضارة عند مالك بن نبي فيعرفها في كتابه"شروط النهضة"

"وفي استخداماتنا للمصطلحات البيولوجية نجد أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي،حيث ينشأ ويتقوى هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها".

إن الحضارة ليست فقط هي بناء القلاع والقصور،أو نحت التماثيل وإقامة المعابد أو صناعة آلة او اختراع جهاز أو رفع إنتاج وما شابه ذلك من عالم الأشياء،بل هي قبل ذالك في نضر مالك فكر،وبناء فكري،فهي:"إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع ف مرحلة ما قبل التحضر والدفعة التي تجعله يدخل التاريخ فيبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره"[4].

إذن الحضارة هي :نسيج مركب اجتماعيا وثقافيا وفكريا ونفسيا وتاريخيا ودينيا واقتصاديا وهي شديدة التعقيد والتداخل،والإنسان دوما هو عنكبوت نسيجها الحضاري،فالحضارة هي إبداع إنساني لخدمة الإنسان وتلبية حاجياته ورغباته،وتوفير الراحة والسعادة والرخاء له.

إنها تراث إنساني للمسيرة الإنسانية شاركت فيه جميع الشعوب وأمم العالم بنسب متفاوتة،وظهرت في مواقع جغرافية مختلفة،وبين أجناس وأعراق متباينة واختلفت مدة بقاءها واندثاره من حضارة لأخرى.

1-ابن خلدون،المقدمة،ص223.

2-حين مؤنس،الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها،ص94.

3-مالك بن نبي،شروط النهضة،ص43.

4-مالك بن نبي،مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص49.

المبحث الثالث : مفهوم الصراع الحضاري

الصراع ظاهرة كونية تجسمت في سلوك الإنسان الحركي والفكري.وبالقدر الذي يكون فيه الصراع ضرورة تتطلبها حتمية الدفاع عن الذات وإثباتها في وجه الأخر الخصم.

ولذالك سوف نتناول في هذا المبحث مفاهيم الصراع الحضاري من وجهة نضر الباحثين الغربيين وكذلك من وجهة نظر الباحثين المسلمين.

هناك عدة نظريات غربية تفسرها ظاهرة الصراع اهمها:

المطلب الأول: الصراع عند العلماء الغرب

✓ **نظرية(هوبز):**

التي أيدتها النظرية الداروينية والتي تقول:إن المجتمع البشري في حالة صراع وحرب مستمرة ،فالقوي دائما يسلب حقوق الضعيف،وهذا القوي يضعف فيتقدم عليه من هو أقوى منه ،فيسلبه أمواله وحقوقه،وقد دعمت نظرية (داروين) نظرية (هوبز) في ان البقاء للأصلح والصراع الحضاري الذي يخوضه الجنس البشري ما هو إلا حالة طبيعية يمارسها بصورة مستمرة من أجل البقاء[1].

يتضح من خلال هذا المفهوم للصراع أن السيطرة على الشعوب واستعمارها ونهب أموالها واستغلالها هو أمر طبيعي ما دام البقاء للأقوى والأصلح ولا مكان للضعيف في الحياة ،وهناك بعض النظريات الغربية الأخرى التي تنفي الصراع تماما ،وبالتالي فلا يمكن أن يوجد صراع بين حضارتين غير متكافئتين في القوة، ومن أهم النظريات:

1-ينظر: غالي شكري، مذكرات ثقافة تحتضر،الدار العربية للكتاب،ليبيا،1984، ص35.

✓ نظرية العنصر(الجنس):

يذهب القائلون بنظرية الجنس إلى أن البعض الأجناس البشرية تصعد أي تتقدم وتزداد قوة،لأن جنسها أو نفرا من قادته مهيأ للتقدم[1]

بينما لا تتمتع أجناس بمواهب كافية للتقدم كافية للتقدم،لذلك يبطئ تقدمها وتميل إلى الركود في حالة البدائية،والبقاء على مستوى حضاري معين لا تتخطاه وتبقى للأبد خاضعة لتلك القوى المسيرة لذلك العالم[2].

ويؤكد هؤلاء أن الجماعات المهيأة بطابعها للتقدم تتميز غالبيتها أفرادها بخصائصها البدنية أو الخلقية ،يتوارثها أفرادها بحيث تصبح هذه الخصائص مميزة لها عن غيرها.

(والقول بامتياز الجناس بعضها عن بعض مازال عند بعض الفئات الاجتماعية في أوربا وماتزال الممارسة العنصرية تسود في أوربا حتى هذا اليوم فالرجل البيض هو السيد دائما)[3].

✓ نظرية البيئة:

ويعتبر القائلون بهذه النظرية بأن هناك بيولوجيا عليا،وأنواع دنيا في الجنس البشري،وقد قسموا الأشكال البشرية،للنوع الجبلي الغزيرة المياه،والنوع ذي التربة الضعيفة عديمة المياه.

1-ينظر :أرنولد توينبي،مختصر دراسة التاريخ،ترجمة فؤاد محمد شبل،القاهرة،1986، ص86.

2-مختصر دراسة التاريخ،أرنولد توينبي، ص94.

3-المرجع نفسه ص95.

"وتميل أبدان سكان البلد الجبلي الصخري والغزير المياه والموجودة على ارتفاع كبير،حيث يكون مجال التقلبات الجوية الموسمية واسعا[1] إلى ضخامة البنية التي تتفق مع ما يلزمهم من شجاعة وقدرة على الاحتمال وذكاء خارق"

"أما السكان الأراضي المنخفضة الحارة التي تغطيها المروج المائية والتي هي أكثر تعرضا في العادة للرياح الحارة منها إلى الباردة ،فإنهم على العكس ليسوا أقوياء البنية،وهم أميل إلى الغضب منهم إلى البرودة ،وليست الشجاعة والاحتمال من الصفات الأصلية في طباعهم،وهم ينتشرون خاصة في إفريقيا وبعض مناطق المشرق العربي"[2]

المطلب الثاني :الصراع عند العلماء المسلمين

أما الباحثون المسلمون فلهم موقف مغاير تماما ،ذلك أنهم يعتبرون مسألة الصراع الحضاري قضية غير إنسانية،ويرون كذلك أن النظريات الغربية تهدف إلى تبرير سيطرة القوى الغربية وهيمنتها على البشرية وعلى العالم الإسلامي بصورة خاصة ،وذلك لفرض نمط من الحياة يتلاءم مع تقاليدها وبالتالي يمهد إلى تذويب الحضارة الإسلامية.

يشرح أبو علي المودودي هذه المسألة قائلا :"إن الغلبة والإستيلاء هي أن تتقدم امة من حيث قواها الفكرية العلمية تقدما يجعل سائر الممم تؤمن بأفكارها ،فتكون الحضارة حضارتها والعلوم علومها ،والحق ماهو عندها حق والباطل ما تحكم عليه أنه باطل"[3].

1- المرجع السابق، ص96.

2- المرجع السابق، ص100.

3-أبو علي المودودي ،نحن والحضارة الغربية،دار السعودية للنشر والتوزيع،1994، ص12.

ومن هنا نفهم إن المودودي يعتبر أن الغلبة والاستيلاء الغربيين على العالم الإسلامي يقوم بنيانها على الاجتهاد والتحقيق العلمي،فكل أمة تسبق غيرها تتولى قيادة العالم وزعامة الممم وتستولي أفكارها هي على العقول أما الأمة التي تتخلق في هذا الطريق فلا تجد مناصا من إتباع الغير وتقليده وتؤكد الباحثة سلمى الخضراء الجيوسي:

" إن تباين القيم بين الحضارتين ساهم إلى حد بعيد في تعميق الهوة بين المجتمع العربي والمجتمعات الغربية في العصر الحديث،وقد مكنها ذلك من مد جذورها في الوطن العربي هيمنتها على النفس العربية،فركبت في الفرد شعورا بالنقص والتخاذل أمام تحديات العصر "[1].

كذلك يرى الباحث محمد المبارك:"إن المجتمع العربي المسلم قد دخل في دائرة تحول فكري سياسي،واجتماعي هام،نتيجة الغزو الثقافي الغربي الذي وصل غلى درجة التدني الكامل من جراء اصطدامه مع الثقافة العربية التي استطاعت أن تمتد إلى غور هذه المجتمعات"[2].

إن التباين في مواقف العرب والمسلمين حول إشكالية الصراع الحضاري،اظهر اتجاهات متناقضة تعتبر كل واحد منها عن مواقفها من مسألة الصراع الحضاري في هذه الاتجاهات هي :

1-اتجاه محافظ مرتبط بالتراث :"رافض لثقافة الغرب ويقول بضرورة الرجوع إلى الأصل والأخذ بكل الموروث الحضاري لتحقيق التقدم الحضاري"[3].

1-سلمى الخضراء الجيوسي،اغتراب المثقف الغربي،المستقبل العربي،العدد9،1987،لبنان، ص110

2-محمد المبارك،بين الثقافتين الغربية والإسلامية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1988، ص40.

3-السيد ياسين، إشكالية الأصالة والمعاصرة،التراث وتحديات العصر في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1989،ص11.

2- اتجاه العصرنة:"يرى هذا الاتجاه في التراث عبئا يجب التبرؤ منه مقابل القفز إلى الشروط الموضوعية لحركة التطور في الأخذ بكل ما تعرضه حضارة الغرب"[1].

3- اتجاه معتدل :"يعمل على مزج الأصالة بالمعاصرة وإقامة علاقة تطعيم حضاري بين العالم العربي والعالم الإسلامي والعالم الغربي"[2].

" وقد بدأت هذه المشكلة تتفتح ملامحها بعد احتكاك المجتمع العربي بالغرب في لحظة تاريخية كان فيها التخلف هو السمة الغالبة للمناطق العربية ،في حين كان الغرب في أوج قوته الاقتصادية والسياسية والعسكرية والتكنولوجية"[3].

لذلك طرحت أسئلة محورية لماذا التخلف؟وكيف يمكن أن تأخذ من أسباب التقدم؟ وهل يكون ذلك باحتذاء النموذج الغربي احتذاء كاملا؟أم يكون بإحياء التراث العربي الإسلامي،باعتباره يصلح كنموذج حضاري للتنمية والتحديث،أم أن الحل يكمن في محاولة التوفيق بين النموذج الغربي والتراث العربي الإسلام؟

كل هذه التساؤلات تمثل جوهر مشكلة الأصالة والمعاصرة المرتبطة بمسألة الصراع الحضاري،قد حاول المجتمع العربي أن يضع لها إجابات متعددة ظهر زيف بعضها في التطبيق،وما زالت بعض الإحالات التي لم تتح لها الممارسة تطالب بحقوقها في التجريب،وهذا ما سأحاول التفصيل فيه في المبحث اللاحق.

1-المرجع نفسه،ص12.

2-المرجع السابق،ص13.

3-ينظر :مصطفى النشار ، في فلسفة الحضارة جدل الأنا والآخر،دار قباء،القاهرة،ط1،2007،ص51.

المبحث الرابع: إشكالية الصراع الحضاري

تطرح إشكالية الصراع الحضاري مسائل متعددة أهمها مسألة الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر على أنها مشكل الاختيار بين النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة وبين"التراث" بوصفه يقدم نموذجا بديلا وأصيلا يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة ،ولهذا سوف أتعرض في هذا المبحث إلى مختلف الاتجاهات إزاء مسألة الصراع الحضاري.

"لا ريب في أنه كان للاحتكاك العربي الغربي الأثر الكبير على الفئة العربية المثقفة"[1] حيرة فكرية ناتجة عن إحساس المثقف العربي بقلق حتمية التعايش مع حضارتين متناقضتين فتنازعه مؤثرات متباينة،فمن جهة تمسكه بهويته العربية الإسلامية القائمة ومن جهة ثانية رغبته في اقتباس الحضارة الغربية"[2]

فالهوية العربية الإسلامية قائمة على الموروث التقليدي الذي مثل الاستمرار في الزمان والحضارة الغربية عنوان القوة والتطور،غير أنه خاف أن يكون اقتباسها يسبب الضياع وفقد الهوية.

"فنشأ الصراع بين الثقافة التقليدية الموروثة والثقافة الغربية المجلوبة،كما ميز هذه الفترة على الصعيد الفكري،المعارك العنيفة التي حدثت بين رواد الحرية والتقدم من جهة ودعاة الجمود والاستقرار من جهة أخرى"[3].

"هذا الانقسام بين فئة المفكرين ،الدار فيما بين الأصالة والمعاصرة أمر اقتضته طبيعة الانتقال الحضاري،فالمجتمع العربي يواجه اختيارا مصريا بين تصورين بليدين للمستقبل"[4].

ومن هنا تصنف المواقف إزاء هذا الاختيار إلى ثلاث رئيسية:

1-عبد الرحمان خليفة،فضل الله محمد إسماعيل ،المدخل في إيديولوجيا الحضارة ،بستان المعرفة ،الإسكندرية ،2006،ص172.

2-نازك سابايارد ،الراحلون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة ،مؤسسة نوفل بيروت،1979، ص11

3-غالي شكري،مذكرات ثقافة تحتضر،مرجع سابق،ص35.

4-غالي شكري ،سلامة موسى،أزمة الضمير العربي،منشورات المكتبة العربية،بيروت ،1995، ص83.

1-مواقف عصرانية:"تدعو إلى تبني النموذج الغربي المعاصر بوصفة نموذج للعصر كله وهي لا تؤمن بكرة الصراع الحضاري"[1]

2- مواقف سلفية :"تدعو إلى استعادة النموذج العربي الإسلامي الأصيل الذي يحاكي النموذج القديم في الوقت نفسه الذي يقدم فيه حلوله الخاصة لمستجدات العصر ويركز على فكرة الصراع الحضاري"[2].

3-مواقف توفيقية:"تدعو بالأخذ بأحسن ما في النموذجين معا والتوفيق بينهما في صيغة واحدة تتوافر لها الأصالة والمعاصرة،بالانطلاق طبعا من إشكالية الصراع الحضاري"[3]

ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن إشكالية الصراع الحضاري أثارت ضجة في أوساط جموع المفكرين نجده صداه في هذه المواقف الثلاثة السابقة الذكر والتي سأفصلها فيها يلي:

المطلب الأول: اتجاه العصرنة

المعاصرة:هي اللفظ العربي المختار لمقابلة الأصالة،أما عند الغرب هي "اللفظ المستخدم في اللغات الأوربية للتعبير عن هذا المعنى هو"الحداثة"و "التحديث" (Modernity Modernisme) وهو المستخدم عند العرب بعد انتشار استخدامه في الغرب"4.

يقول أحد رواد هذا الاتجاه الدكتور محمدعابد الجابري:"اعتقد أنه يجب الاعتراف أننا لم نكن منذ اصطدامنا بالنموذج الحضاري الغربي المعاصر،نتمتع

1- عبد المحسن طه بدر،الروائي والأرض ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1971،ص52.

2-المرجع نفسه،ص53.

3-المرجع نفسه،ص54.

4-محمد عابد الجابري،إشكالية الأصالة والمعاصرة،مركز الدراسات ،بيروت،1982، ص150.

بحرية الاختيار بين أن نأخذ به وبين أن نتركه،لقد فرض هذا النموذج نفسه علينا منذ بداية التوسع الاستعماري الأوروبي"[1]

يتضح من هذا الاتجاه أنه لا يؤمن بفكرة الصراع الحضاري،إنما يؤيد فكرة اللجوء الكامل لحضارة الغربية ، والإقتداء بها ، بل التبعية الكاملة لها ،لأن الدول العربية ترى أن هذا الاتجاه في حالة الضعف وليس لها أن تفكر في العودة إلى الأصالة والتراث اعتبار منها أن هذا التراث يعد سلبيا ولا يمكن الانطلاق منه لتحقيق التقدم والرقي.

ويواصل الباحث دكتور محمد عابد الجابري قائلا:"لقد فرض هذا النموذج الحضاري الجديد نفسه علينا بوسائله هو كالهيمنة الاقتصادية والسيطرة الثقافية والإيديولوجية ،والنتيجة من ذالك ،غرس بنيان النموذج الغربي في بلداننا في العمران والصناعة والتجارة والثقافة وربطها بالبنية الرأسمالية للأمم في أوربا"[2]

"والنتيجة لهذا كله ،أصبحت معظم البلدان العربية والإسلامية تعاني ازدواجية تتمثل في وجود نمطين من الحياة الفكرية والمادية:أولهما-عصري- مستنتج من النموذج الغربي،والثاني-أصيل- يدعو إلى العودة للتراث،ونجد النمطين يتصادمان في الحياة اليومية"[3].

نفهم من هنا أن الباحث يرى أن "نحن نقبل هذه الازدواجية على صعيد واقعنا ،فنبني مخططاتنا التنموية على أساس تنمية هذا الواقع المزدوج ولكننا في الوقت نفسه نرفض هذه الازدواجية على صعيد آخر،صعيد الحياة الروحية والفكرية"[4].

ينكر اتجاه العصرنة التراث ،ويستوجب التاريخ على نحو عام باعتبار أن التاريخ والتراث العربيين ليس أكثر من أوراق صفراء قد أكل الدهر عليها وشرب، ويدعو بضرورة تبني الحضارة الغربية.

1-المرجع نسه،ص153

2-محمد عابد الجابري،إشكالية الأصالة والمعاصرة ،ص153.

3-المرجع نفسه ،ص154.

4- المرجع السابق،ص155.

المطلب الثاني : اتجاه الأصالة

غالبا ما تستعمل كلمة "المعاصرة" معارة "للأصالة" والواقع أن خاصيات الأصالة لكي تبقى حية ،أن تبقى دائما محل تساؤل وتكيف ، أي دائمة التفتح على صيرورة التاريخ.

وتجدر الإشارة أن الاتجاه المعاصرة يقدم لنا الغربً بكل ماله من مزايا ومساوئ كنموذج أوحد يجب أن تندمج فيه كي تنجو ،والأهم من هذا أن الغرب يبني حضارته على أصالته ،فلماذا يريد أصحاب الاتجاه المعاصر أن يقفز العرب والمسلمون من لاشيء أو بالأحرى ينطلقون من حضارة مناقضة لحضارته بعد أن يدفن أصالته ويبقى بلا فكري"[1]

يرى أصحاب هذا الاتجاه : أن الدول العربية في صراعها مع الغرب يجب أن تبتعد عن محاكاة الغرب لأن هذا استلاب.

يقول : دكتور محمد عزيز الحباني:

"علاوة على هذا الاستلاب،هناك وهمية من غرب وهمي ،ترعرعت نموذجيها في عقلنا الواعي واللاواعي ، إنها صورة هوس يصدر على توفيق حركات اغرب لمزجه بعالم "أنا" وبقدر ما ينفصل"الأنا" العربي عن جذوره الأصلية يغدو قابل لكل تكييف يمارس عليه"[2]

ويرى كذلك:" إن الأصالة ومعها التراث ،أو فيها التراث،هي الماضي بكل ما يحمل من تراث يعتز به الإنسان، وهو حصيلة القيم الدينية والاجتماعية والخبرات الطويلة والمتوارثة عبر الأجيال، فيها كنوز ثمينة يكون من الحماقة رفضها كلها"[3].

1- عبد الرحيم مراد ،ملامح المشرع الحضاري ،دار الوحدة للطباعة والنشر لبنان /1989،ص45.

2-المرجع نفسه ،ص48.

3- محمد عزيز الحباني ، التراث وتحديات العصر في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،ط2،1898،ص145.

إن هذا الاتجاه ينر باحترام وتقدير للتراث الذي خلفه الماضي ويتعامل معه على ناه تراث حي لأنه في كل يوم يضاف إليه الجديد ويرى الدكتور الطيب تيزيني:

إن المسألة العقدية التي يتمحور حولها اتجاه الأصالة"تكمن في اعتبار اللحظة الماضية الأنطولوجي الوجودي والمعرفي بكل ما هو تال"1.

ثم يضيف موضحا:"أن هذا الاتجاه في أساسه الموضوعي يوم على تقديس أحد أبعاد الوجود الذي هو الماضي،وقطع سياق التواصل التاريخي بين تلك الأبعاد وفي هذا الإطار تطوع الحقيقة التالية لاحتياجاتها ، وهي أن الإنسان ،ضمن ما يعرف به كائن اجتماعي ذو ذاكرة(تاريخ وتراث) يعود إلى الماضي ليضيف بذلك عناصر جديدة إلى تجربته النظرية والعلمية"2.

يتضح من خلال ما سبق ان هذا الاتجاه نطلق من تصور الماضي الإسلامي كانطلاقة ومرحلة حاسمة ومنسجمة وهو يرفض رفضا قاطعا بعدي الحاضر والمستقبل الذين يمثلا بالنسبة إليه انتسابا لحضارة مغايرة للحضارة الإسلامية وهي الحضارة الغربية.

1-الطيب تيزيني ،من التراث إلى الثورة،مشروع رؤية جديدة للفكر العربي،دار الجيل، بيروت ،1989،ص115.

2-الطيب تيزيني ،حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم ،دار دمشق للطباعة ،بيروت ،ص120.

المطلب الثالث : الاتجاه التوفيقي

ينادي هذا الاتجاه إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ،لأن خصوم الأصالة يجعلون(التاريخ العربي الإسلامي) جانبا في حين يدعون الآخرين إلى الانفتاح على معاصرة مبنية على أصالة من نوع آخر ، وترتكز أساسا على تاريخ الغرب وحضارته ،يقول الباحث محمد عزيز الحياني:

"إذا كانت المعاصرة انتفاضة ضد التقليد والجمود يستحيل ألا يباركها كل مثقف واع ،أما إذا اعتبرت انتفاضة على ركام الأصالة : أي ما يكون ويكيف الشخصية،فلن يرغب أحد في الانسلاخ عن ذاتية ليرتمي في أحضان الغير... علينا أن نقاوم المفاهيم الخرافية التي سجنا فيها على يد الاستعمار فالمقاومة في الواجهتين تجعلنا متقدما فعلا"[1].

لم ير التاريخ أبدا هذا الاتجاه التوفيقي يعتبر نفسه الوحيد الذي يمثل الموقف الأمثل في تماسكه واستجابته لمعطيات ومقتضيات التطور العقلي والعلمي ، ولهذا يرفض الاتجاهان الآخران الاعتقاد أنهما متطرفان منحرفان على الخط القويم"[2].

يتضح مما عرضنا أن الاتجاه التوفيقي حاول إلى حد بعيد الخفيف من حدة الصراع بين اتجاه الأصالة واتجاه المعاصرة، هذا الصراع يعكس في حقيقة الأمر صراعا مع الحضارة الغربية ،ويتم هذا التهجين وهذا التوفيق بالأخذ بالعناصر الماضي للفكر العربي الإسلامي ودمجه بمنجزات الحضارة الغربية المادية منها خاصته.

1- محمد عزيز الحباني،التراث وتحديات العصر في الوطن العربي،ص70

2-الطيب تيزيني ، من التراث إلى الثورة ، مرجع سابق ،ص200.

أفضل أفلام

الفصل الثالث : الصراع الحضاري

المبحث الأول : الصراع الفكري.

المبحث الثاني : الصراع الثقافي

المبحث الثالث : الصراع الديني.

المبحث الرابع : الصراع الاجتماعي.

المبحث الأول : الصراع الفكري

لا يعني بن نبي بمصطلح"الصراع الفكري" كما قد يتبادر إلى الذهن صراع الأيديولوجيات بل هو يعني النهج المنظم الذي ينفذه الاستعمار لتشويه الوعي عند شعوب المستعمرات ،ومنعها من امتلاك الوعي الصحيح الذي يقودها للتخلص من الظاهرة الاستعمارية.

إذ يقوم الاستعمار بامتصاص القوى الواعية في البلاد المستعمرة بأب طريقة ممكنة ، حتى لا تتعلق بفكرة مجردة ومن البديهي أنه سيحاول أولا تعبئتها لحساب فكرة متجسدة تجسيدا تصبح معه اقرب إليه منالا ،لأنه يمكنهم قاومتها إما بوسائل القوة أو بوسائل الإغراء[1].

إذ يشير بن نبي إلى هذا الصراع فيقول :

"ففي كل نشاط فكري على العموم والنشاط الفكري المتصل بالإسلام على الخصوص يقع هذا النشاط مباشرة تحت مجاهر سميتها مراصد الصراع الفكري في العالم ،حتى لو سخرت بعض الشخصيات أو بعض الجهات الإسلامية لتصنيف الخناق على هذا النشاط،وأصحاب المر ليسوا في بلادنا ، بل خيوطهم ،وأحيانا تتسرب من حيث لا ندري إلى عقولنا،بمعنى أنا ننساق وفق خططهم دون ان نشعر"[2].

من خلال هذا القول نفهم أن الاستعمار يستخدم مختلف الوسائل لكي يسدل ظلاما شاملا على بعض القطاعات من الجهة الفكرية كي يعزلها عن ضمير الشعب المستمر وعن الضمير العالمي.

1-ينظر:بن عبد الفتاح دحماني نمجلة الحقيقة ،جامعة أدرار ، الجزائر ، العدد 4، 2004، ص61

2-مالك بن نبي ، مجالس دمشق ،دار الفكر ،دمشق :ط1،2005،ص35.

"والاستعمار لا يقنع بمجرد الاستعلام عن حركة الأفكار ، فهذا شأن (الفيلسوف) إلا أن الاستعمار فلسفته الخاصة التي تتمثل في التخلص من الأفكار التي تضايقه وفي الانحراف بها عن مراميها ، بتوجيهها خارج المدار التي أراد أصحابها استبقاءها فيه"[1].

على أن الاستعمار لن يسلك هذا الطريق فقط(بل أنه سوف يواصل في الوقت نفسه حربه ضد الفكرة المجردة بوسائله ملائمة فيها أكثر مرونة ويستعين من أجل ذلك بخريطة نفسية العالم الإسلامي ،وهي خريطة تجري عليها التعديلات الضرورية كل يوم ، يقول بها رجال متخصصون مكلفون برصد الأفكار) [2].

"وفي مستوى آخر نراه يفضل لغة الدين لأنها تسد بصورة محكمة منافذ الوعي إزاء الفكرة،ثم نراه يستغل جهل الجماهير لينشئ حول الفكرة منطقة فراغ وصمت لعزلها عن المجتمع"[3].

فهذا سيساعد على توجيه هجمات محكمة في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية.

كما يرى كذالك بن نبي إن :"المثقف من أبناء الدول المتخلفة لا يزال يقتصر على ما يسهل أخذه سواء كان هذا ماديا أو معنويا ،ينتج عنه تكديس في الأشياء والأفكار

1-مالك بن نبي ، أفكار كمنويلث إسلامي ، مصدر سابق ،ص55.

2-مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة،ص15.

3-المصدر نفسه،ص16.

يدمر التقدم ويحطم كل أركان التحضر "[1]. فهو دائما في أتم لاستعداد لاستقبال وامتصاص أفكار البلد المستعمر وهي نوعان عند مالك بن نبي:

إذ هي تلك الأفكار التي تشد الإنسان في الوضع الحضاري المنحط إلى انحطاطه وتمنعه من النهوض.

الأفكار القاتلة : يعرفها بن نبي بأنها(فكرة فقدت شخصيتها وقيمتها الثقافية بعد أن فقدت جذورها التي ظلت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي).[3]

إذن هي نفايات فكرية للمجتمع الآخر تطفو على سطحه :ولكن الانحطاط الاجتماعي عندنا يجعلنا نستورد هذه الأفكار لتحدث تأثيرا اجتماعيا ساما ، ونعتقد أنها ولا غيرها جوهر الحضارة الغربية.

يرى مالك بن نبي بأن "هاتين الفكرتين اللتين تعيشان جنبا إلى جنب يشكلان انعكاسا فكريا لوجهي مأساة المجتمع المبتلي بالاستعمار وترتبطان مع بعضهما إذن الأفكار الميتة هي التي تختار من الحضارة الأخرى الأفكار القاتلة تحديد مع إن الحضارة الأخرى فيها أفكار أخرى"[4].

كما يذكر أيضا أن الاستعمار قد وضع مهمتين بالصراع الفكري ابتكروا جهاز جديد له يسيطر على الأفكار داخل دوار مختصة حيث يقول :"كان من الحكمة أن يفكر يوما ما

1-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر، 1984،ص54.

2-مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ترجمة محمد علي ،مكتبة عمار ، القاهرة /1971،ص202.

3-مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ص202.

4-ينظر : مالك بن نبي، في مهب المعركة ،ص130.

المهتمون بالصراع الفكري ،في تركيب جهاز حديث تكون أجزاءه غير ظاهرة للشخص المقصود حتى تؤدي مفعولها دون أن يشعر بذلك"[1].

أما عن تركيب هذا الجهاز فيشرحه لنا بقوله : "إن مبدأ هذا الجهاز هو إن لكل كاتب قبل دائرة أفكاره تشتمل حياته الشخصية في عقر بيته ، ودائرة تضم علاقته الاجتماعية خارج بيته ، مهما يكن عددها ، وهذه الدوائر الثلاث لست منفصلة الواحدة عن الأخرى"[2].

والتصميم النضري لهذا الجهاز[3] قد يكون على هذه الصورة:

فيمكننا الآن أن نفسر عمل الجهاز على ضوء هذه الصورة النظرية :

"إننا نرى أولا ، أن كل ما يصد من إشعاع من الدائرة الشخصية الخاصة بفرد معين ، يصب حتما يخيره أو بشره في دائرة أفكاره ، لأنه ينعكس عليها بمقتضى

1-مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص48.

2-المصدر نفسه ،ص51.

3- المصدر نفسه ،ص77.

تداخل الدائرتين ، بمعنى أن تعفن أخلاقي يحدث داخل الدائرة الشخصية يصل إشعاعه فورا إلى دائرة أفكاره وبالآلية نفسها يحدث على الدائرة الاجتماعية"[1].

نفهم من ذلك أن كل ما يحدث بطريقة طبيعية أو صناعية ،تعفنا في الدائرة الشخصية بالفرد أو في دائرته الاجتماعية ،فإن تأثيره يصب بكامله في دائرة أفكاره.

" لأفكار سلطة خاصة تفرض رقابة على الإيحاءات التي ترد إلى دائرتها من الدائرة الشخصية ومن الدائرة الاجتماعية ،والشيء الذي يتكفل حصانة الدائرة أفكار معينة[2] ،هو في الحقيقة قيمة أخلاقية تشترط النظافة وتفرضها في كل الظروف والواقع إن مجتمعنا أصبح يعاني أزمة أخلاقية وفكرية :"تجعله عامة لا يحقق لأفكار شروط حصانتها وفعاليتها فيه ، حتى أنها تكون للدس إما لضعف أخلاقي يحيط بها وإما لضعف فكري يختلها"[3].

وبهذا تكون دائرة الأفكار معرضة إلى تحدي الاستعمار ومؤامرته ، دون أن يستطيع الرد عليه .لأنها فقدت تأثيرها بسبب الضعف المتفشي في الجهاز الفكري عندنا اليوم ، فكأنما دائرته أصبحت ملغاة لا تلعب دورا في الصراع الفكري في البلاد الإسلامية:"والجهاز الذي يتركب من الوجهة النظرية من ثلاث دوائر متداخلة يصبح من ناحية التأثير كأنه من دائرتين فقط : الدائرة الشخصية والدوائر الاجتماعية"[4].

إذن وانطلاقا من هذا تغيب دائرة الإشعاع عن أي رقابة وتصفية بفعل التبعية النفسية للحضارة الغربية الأوروبية.

1-ينظر : مالك بن نبي ، فكرة كمنويلث أسلامي ،مصدر سابق.

2-مالك بن نبي ،الصراع الفكري في البلاد المستعمر ،ص75.

3-المصدر نفسه،ص81.

4-عمر مسقاوي ،مقاربات حول فكر مالك بن نبي ،دار الفكر دمشق ،ص2008،ص129.

فالاستعمار محط علما بكل ثغرات نفسيتنا ،ولذلك فهو عندما يقوم بمعركة مفاهمية ،يكون على معرفة تامة بأرض المعركة أولا ،ثم إنه على معرفة فنية بالفكرة ،باعتبارها وسيلة من الوسائل،من حيث معرفته لقيمتها الرياضية وحدوده القيمة في النهاية"[1].

نستخلص من هذا كله الاستعمار يعرف التفاصيل كلها أكثر مما نعرفه نحن بأنفسنا

"لضعف أساسنا ألمفاهيمي ،وربما لا نكون سوى مجرد أطفال بإزاء الاختصاصيين الذين يعملون منذ عشرات السنين في مختبرات الاستعمار النفسية ، حيث يمتلكون بالإضافة إلى ذلك كل وسائل الاستعلام التي لا يمكننا امتلاكها"[2].

وبهذا نفهم أن الاستعمار يستطيع التخلص من أي فكرة معينة فهو يعرف كيف ينحرف بها ويوجهها خارج مدارها ،هاهنا بالذات تتجلى عبقرية الاستعمار الجهنمية.

"إن الاستعمار يهدف بالوسائل المناسبة إلى فصل البلد المستعمر عن بعض الأفكار ، فإذا كانت من الداخل فمن الميسور لديه إن يستخدم وسائل الضغط والإرهاب ، أما إذا كانت آتية من الخارج أي إذا كان صاحبها قد أفلت من نفوذ الاستعمار المباشر ، فسيكون الاستعمار مضطرا إلى التكيف مع الظروف الجديدة للصراع الفكري"[3].

إذن فسبب تخلفنا وانحطاطنا يعود أولا وقبل كل شيء لفقدان أفكارنا مفعولها القوي الذي كانت عليه من قبل، والأدهى والأمر من ذلك أننا لجأنا إلى جلب أفكار قاتلة

من الخارج إضافة إلى أفكارنا الميتة التي ورثنا عن عصر ما بعد الموحدين وهنا يتجلى مظهر أن لمساتنا وهما الاستعمار والقابلية للاستعمار

والسؤال المحير هو لماذا يتوجه المسلمون إلى استيراد تلك النفايات المسمومة من الغرب؟ أو ليست للحضارة الغربية أفكار فعالة ؟إذ كان كذلك فكيف نفسر تربع الغرب على العالم وتحكمه فيه؟

إن العيب فينا حيث أننا نحيي تلك الأفكار المميتة في الثقافة الغربية ولكن العيب فينا حيث أننا نحي الذين يلجؤون إلى استقدام تلك الأفكار وخاصة النخبة المثقفة منا

يقول مالك بن نبي في هذا المضمار :"ذلك إن يحدد خيار هذه النخبة في الواقع ليس مضمون الثقافة الغربية، بل مضمون الوعي في العالم ما بعد الموحدين الذي حدد خيارا لهذه النخبة بإرادة منها أو بغير إرادة"[1].

ولهذه فإنه يجب استعادة فعالية أفكارنا الأصلية وإعطائها حقها حتى تغدو أصلية متفجرة ، والمجتمع الإسلامي يستطيع أن يستعيد فعالية بأن يضع دفعة واحدة في أساس تخطيط مسلمة مزدوجة:

أ –كل الأفواه أن تجد قوتها.

ب –جميع الأيدي يجب أن تعمل.

...إنه ليس المطلوب الدفاع عن أصالة الإسلام ، بل مجرد إعادة فعاليته إليه بتحريكهم قواه الإنتاجية"[2].

1–مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،149.

2–المصدر نفسه ،ص118.

من خلال ما سبق نستنتج أن الصراع الفكري عند مالك بن نبي هو ذلك النهج الذي نظمه الاستعمار للقضاء على الوعي الفكري للبلدان المستعمرة ، فأصبح المسلمون يستوردون الأفكار الميتة بدلا من الأفكار الإيجابية التي تدعو المجتمعات الغربية إلى الجدية في العمل واحترام الوقت ،واستغلال كل لإمكانات المتوفرة ، بدلا من ذلك استوردوا الأفكار القاتلة من (الفيروسات الخارجية) أو النفايات ، وبذلك وقع التحالف بين الأفكار الميتة ، والأفكار القاتلة ، الوافدة من الخارج ، فتعطلت مسيرة النهضة الإسلامية ، وعمدت الفوضى عالمنا الإسلامي إى يومنا هذا ومن هنا نرى أهمية الصراع الحضاري في فكر مالك بن نبي خصوصا بأن غالبية هذا الصراع تميل إلى ترجيح كفة الغرب على الشرق.

المبحث الثاني : الصراع الثقافي

يعتبر الموروث الثقافي بمختلف أشكاله وجها من أوجه التعبير عن الذات في إطار الجماعة تتقاسم الأفكار والعادات المعيشية نفسها وحتى المعتقدات وان اختلفت المشارب والمناهل إلا أن الأصل يبقى هو الغالب على الانتماء فمفهوم الثقافة عند الشرق هو نفسه عند الغرب وعند سائر الشعوب والانتماءات في دائرة الحدود الجغرافية ووحدة اللسان أي:

اللغة كعامل جامع الأفراد في إطار مقومات وركائز الأمة التي ينتمي إليها الفرد من حيث التعريف الاصطلاحي ، لكنها تختلف في الإسقاط المباشر والتأثير مت حيث العادات والحدود التي وجب أن يحترمها ولا يتعداها كل منتم إلى هذه المجمعة"[1].

ومع الامتداد الغربي إلى الشرق تغير هذا المفهوم وانسجم الشرق مع الواقع الحضاري الغربي الذي ألقى على شواطئه بكميات من إنتاجه الثقافي.

وما هو سائد في المجتمع الإسلامي اليوم ليس إلا خليطا من ثقافة الغرب التي خلفها الاستعمار مع شيء من السمات والأنماط الثقافية الموروثة عن الحضارة الإسلامية التي اختلت بنيتها كثيرا، وعليه فمالك بن نبي يشير إلى ذلك ويلح إذ يقول:

" والعالم لإسلامي اليوم خليط من بقايا موروثة عن عصر ما بعد الموحدين ومؤثرات ثقافية حديثة جاء بها تيار لإصلاح وتيار الحركة الحديثة ، وهو خيط لم يصدر عن توجيه واع او تخطيط علمي وغنما هو مجموعة من رواسب قديمة لم تصف من طابع القدم ومستحدثات لم تتهم تنقيتها"[2].

1- غادة طويل ، الثقافة العربية جذور وتحديات ،الجزائر ، 2007ص7.

2- مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ،ص77.

وقبل أن نلج إلى موضوع الصراع الثقافي عند مالك بن نبي لابد لنا أولا أن نخرج على مفهوم الثقافة كما يراها مفكرنا الجزائري

✓ **مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي :**

الثقافة عند مالك بن نبي هي :المحيط الفكري والسيكولوجي والاجتماعي الذي يكشف الوجود الإنساني في مجتمع ، ويزوده بالخبرة المعرفية ، والسلوكية التي تشكل طباعه وشخصيته وتحكم علاقته بسنن الأفاق والأنفس والهداية والتأييد"[1]

وبتتبع وجهة نظره في الثقافة نجدها تتمحور حول كونها :"نظرية في المعرفة ومناهجها في السلوك ، ومنهجية في العمل والبناء والمواجهة"[2].

ولعل انسب تعريف أورده للثقافة هو :"أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه "[3]

فالثقافة إذا هي الأسلوب الذي يحكم علاقات الأفراد وسلوكياتهم ومن ثم كان دورها في المسار الحضاري دورا فعال لأن تأثيرها لمس جميع الجوانب كما أتت جميع مشكلات الحضارة تتطلب منا دراسة شاملة للأوضاع الثقافية للمجتمع.

وهذه الثقافة التي تشكل طباع الإنسان ،وتصبغ شخصيته بصبغة متميزة وتزوده بنظرية في المعرفة ، ومنهج في السلوك ومنهجية في العمل والبناء متناغمة مع سنن الأفاق والنفس والهداية.وضع لها مالك بن نبي محاور كبرى"...إذا ما استوفت أتت أكلها في بناء إنسان فعال، ومجتمع قادر على العطاء،وخوض

1-مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،ط4،1984،ص42.

2-الطيب بروت ،محورية البعد الثقافي في استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ،دار قرطبة ، الجزائر /ط2،2004،ص35.

3- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة،ص77.

معترك التدافع الحضاري بضمانات أكيدة في النجاح والتألق بالعودة إلى حديثه المباشر عن مفردات العالم الثقافي نجدها تتمحور حول الربعة محاور أساسية"[1]

✓ **المحاور الأساسية الكرى للثقافة عند مالك بن نبي هي :**

1- التوجيه الثقافي لتكوين الصلات الاجتماعية.

2-التوجيه الجمالي لتكوين الذوق العام.

3-المنطق العلمي لتحديد أشكال النشاط العام

4-الصناعة أو الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع[2].

إذن الثقافة صلة التعاون الخلاق المبدع في إطار المجتمع"وهي تناسق الذوق الجمالي الذي ينتظم ذالك من المجتمع من خلال تعاونه الفاعل ، وهي إبداع الفكر المتصل بالأشياء من خلال المنطق العلمي الذي يمنح النشاط عاليته ،وهي إنتاج الخبرة التقنية التي تعطي الثقافة صورتها المتكاملة عن صفحة الأشياء كالفنون والمظاهر التي تميز ثقافة عن سواها"[3].

إضافة إلى ذلك فالثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة ،والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر ، وهكذا نرى ان هذا التعريف يضم دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة ، أي مقومات الإنسان ، ومقومات المجتمع ، مع أخذنا في الاعتبار

1- الطيب برغوث ،محورية البعد الثقافي ،ص35.

2-المرجع السابق ،ص35.

3- عمر كامل مسقاوي ،مقاربات حول فكر مالك بن نبي ،ص191.

ضرورة انسجام هذه المقومات جميعا في كيان واحد [1] تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية عندما يأذن فجر إحدى الحضارات وانطلاقا من هذا درس مالك بن نبي مشكلة الثقافة في العالم الإسلامي جاهدا في تمحيصها محاولا سبر أغوارها بهدف توجيه ثقافة المسلمين وفق منهجية لا تحيد عن مبادئ عقيدتهم وقيما توجيها يؤملهم للقيام بدورهم في قيادة البشرية وإنقاذ المسلمين من خطر الاستعمار والقيام بتغيير مجرى الأحداث وتبليغ رسالة الإسلام.

✓ **الصراع الثقافي عند مالك بن نبي :**

تشخيص مشكلة الثقافة في البلدان الإسلامية خاصة والبلدان النامية عامة ، ينم بحق عن أزمة ثقافية تجتاح بلدان العالم الثالث .هذا ما استخلصه مالك بن نبي نتيجة معالجته للمشكلة وهذه الأزمة يعبر عنها الواقع الثقافي الذي يشكوا في عمومه تعذرا في تركيب عناصر الثقافة ضمن إطار تربوي يتمثله العالم في سلوكيات الثقافية هو الاهتمام بجانب من الثقافة على حساب الجوانب الأخرى [2]

هذا ما يؤدي إلى حدوث الخلل وعدم التوازن لأن الثقافة تكامل بين عناصر ثلاثة وقد عر عنها مالك بن نبي :"صراع بين عناصر ثلاثة في قلب العالم الثقافي أما الأزمة فهي نهاية هذا الصراع عند انتصار واحد من الإبطال المتصارعين وظهور طاغية يستولي على السلطة في العالم الثقافي "[3].

1-مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،ص74.

2- ينظر : مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ،91.

3- ينظر مالك بن نبي ،ص104.

بذل الاستعمار ما بوسعه كي يجرد الشعوب المستعمرة من ثقافتها الأصلية فهو"لم يكف لحظة عن خلط الظاهر بالدنس ، مدفوعا بتلك الفكرة المدنسة التي تملي عليه أن يوقف سير الشعوب نحو النور"[1].

نفهم من هذا انه هو المسؤول عن جانب كبير من الفوضى في العالم الإسلامي وعن هذه الصراعات التي يتخبط فيها الشرق بل حسبنا أن نقول ما قاله مفكرنا الجزائري "الاستعمار هو أفضع تخريب أصاب التاريخ"[2] معناه أنه أصاب كذلك الثقافة العربية الإسلامية فأخفى بذلك عادات الشعب وتقاليده.ذ

كما يرى مالك بن نبي في كتابه جهة العالم الإسلامي بأن الاستعمار حاول بكل ثمن إلحاق طابع الهوان بحياة المسلمين"فمن السهل أن نلمح طراز بناءه في مدن السراديب الموجودة في ضواحي الجزار ، فإنه تسجيل الطابع الإستعماري المهين الذي الصقه بفن البناء ، حين جعل أسقف المنازل أشبه بالبق واو بظهر الحمار"[3].

كما ضيف كذلك إن معنى ذلك "بكل بساطة سوى ضرب من ضروب التنكر للذوق الإسلامي ، ومحور للطراز العربي لجميل الذي خلف أثارا لا تمحى في الأندلس"[4].

نفهم من ذلك إن الاستعمار منذ ولوجه أول مرة البلاد المستعمرة جردها من كل أصالتها وفنها وجمالها وعراقتها ليستبدلها بثقافته الغربية التي يراها بن نبي "ثقافة

1-مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ،ص11.

2- ينظر : مالم بن نبي ، فكرة افريقية الأسيوية ،ص41.

3- مالك بن نبي ،وجهة العالم الإسلامي ،ص113.

4- المصدر نفسه ،ص113

سيطرة وقهر ، تستمد أصولها من الثقافة الرومانية ، وبالتالي ليست هي الثقافة المؤهلة لقيادة مصير الإنسانية"[1]

إذن الثقافة الغربية غير مؤهلة لأن تستبدل بالثقافة العربية الإسلامية لهذا عالج بن نبي هذا الإطار عر نقده الأدغ لفوضى حركتنا العلمية وصراعاتنا منذ اتصالنا بالعالم الاستعماري.

كما يضيف أيضا في حديثه عن الحضارة الغربي قائلا :"سبيلها الوحيد هو أن تجعل المسلم (زبونا) مقلدا دون أصالة ، لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها "[2].

لهذا اكتفى الطالب المسلم بقراءة الحضارة ، فتعلمها دون تذوقها ، وأصبح هدفه الوحيد أن يدرس لغة ،أو يتعلم حرفة لا يكتشف ثقافة ومعنى ذلك أن المسلم أصبح في اتصاله بأوربا بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء.

1- المصدر نفسه ،ص53.

2- المصدر السابق ،ص54.

بل يقتنع بمعرفة طرق الحصول عليها ، وأصبح لا يهتم بإتقان صنعة الأشياء التي هي من طبيعة ثقافته الإسلامية بقدر ما يهتم بطريقة بيعها أو الحصول عليها.

ويرى مالك بن نبي في هذا السياق "لقد أسهمت المدرسة الاستعمارية بوسائلها التربوية في خلق هذا الوضع ، إذ لم تكن تهتم بنشر عناصر الثقافة الوربية اهتماما يعادل حرصها على توزيع نفايتها التي تحيل (المستعمر) عبدا للاقتصاد الأوربي ، فهي لا تسعى إلى اكتشاف ذكاء تلاميذها ، وإنما تسعى إلى خلق آلالت"[1].

هذا القول يرمي إلى أن الاستعمار حاول عن طريق المدرسة لاستعمارية إبقاء الشعب المستعمر في تبعية ثقافية دائمة لغر بإظهار انبهار يقيم الثقافة الغربية والدعوة إلى تقليدها والتركيز على الجانب المادي فيها.

"ومن ابرز سمات هذه التبعية تلك المحاولات الهادفة إلى فرض الاغتراب اللغوي والثقافي وطمس معالم الشخصية العربية الإسلامية وإغراق المجتمع العربي بنتاج ثقافي استهلاكي."[2]

معنى هذا أن الغرب حاول بهذه التبعية تعزيز الارتباط الثقافي به ،فأوقع الدول العربية في دائرة الخطر الشديد الذي بات ليس يهدد ثقافتهم وتراثهم ولغتهم فحسب ، بل أيضا سيادتهم الوطنية ، واستقلالهم السياسي ووحدتهم.

" ولعل الإغراق في النزعة الاستهلاكية لإنتاج الثقافي الأوربي والأمريكي المهيمن قادت لإلى مظاهر خطيرة من الاغتراب اللغوي والفكري والثقافي السائد.

1-مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ،ص65.

2- مسعود ظاهر ، مجابهة الغرب الثقافي الامبريالي العربي ،ص26.

في الوطن العربي و إلى هجرة كثير من الأدمغة العربية إلى الخارج ، وإلى طمس الحضارة العربية الإسلامية"[1].

لقوله عليه الصلاة والسلام"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

لتبسيط ذلك أفضل مثال على هذا ما قامت به فرنسا من تحويل الجزائر إلى أرض فرنسية ومحاولتها الدؤوبة لتذويب الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ومحو لغتها ، وتراثها العربي الإسلامي ، وطمس المعالم الأثرية وتشويهها ، وتزوير الحقائق التاريخية في البرامج التعليمية المفروضة على الجزائريين

" والمثقف كان يطالع جريدة(صوت الندجين) وجريدة (صوت المحتقرين) ، وإذا تعين عليه أن يكتب شيئا فموضوعه يتحدد في ذهنه بقابلية الاستعمار ، وكذلك المثقف بعنوان أخر يفسره(أو كيف يأمر الأوروبي الندجين حتى يطبعه) " [2].

هذا يوضح لنا أن الاستعمار لا يمكن أن يستعمر بلدا مالم تكن متوفرة فيه القابلية للاستعمار.

" إن هذه القابلية هي التي طبعت على نفسية الفرد اللآفاعلية ، وحددت السمة للسلوكات والثقافة والأفكار في المجتمع ، غنها تشبه الممرض الذي يعرض المجتمع غلى الاستعمار ، أنها هي التي قدمت الشعوب المغلوبة على أمرها غنينة سهلة للاستعمار"3.

معنى ذلك أن القابلية للاستعمار هي المرض الذي أصاب الشعوب المستعمرة فقدت معها مناعتها حيث ابتعدت عن ثقافتها وتاريخها ولغتها العظيمة ، وعاداتها الطيبة وقيمها الأصلية ، مما جعلها كالريشة في مهب الريح تأخذ من هذا وذاك ، فضاعت

1-المرجع السابق،ص50

2- مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه ،ص52

3-مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص143.

هويتها ونشأ فيها جيل ضعيف ، يحتقر العمل ولا يقدسه ،ويعتبر العلم من القيم الدنيا يرفض الأخلاقيات والمثاليات ويؤمن بالاستهلاك والطيش واللهو.

كل ذلك جعل آماله ضعيفة لا تقوى أن تقاوم من أراد أن يستبيح خبراتها ويستغل قدراتها وينهب أموالها وينتهك حمايتها.

كل ما ذكر أعلاه "خلق أزمة ثقافية داخل المؤسسات التعليمية والتربوية فأثر على الخطاب التربوي الذي يتلقاه الجيل الجديد في المدارس والجامعات أدى إلى ضعف عام في قوة هذه المجتمعات من جميع النواحي فأصبح مشبعا بالقيم المخالفة لعاداته وقيمه"[1].

من خلال ماسبق وفي ظل هيمنة الغرب على المؤسسات التعليمية والتربوية نجد أن هذا قد حمل معه آثار سلبية على ثقافة الأمة مما يعرضها لازمة ثقافية رهيبة،حيث دخلت القيم الغربية والسلوكيات والأنماط والاتجاهات الفكرية والأخلاقية ، مطمئنة من أوسع أبوابها.

وألقت بظلالها على حياة الجيل الجديد والحياة اليومية للشعوب المتلقية لها مما انعكس وبشكل مباشر على أنماط التفكير واتجاهات الفرد

"حيث أصبحت القيم والسلوكيات الغربية عنده من الثوابت المقدسة فتعززت عنده قيم الاستهلاك لمجرد الاستهلاك ونشأت في نفسه عقلية العنف و الإجرام والجنس واللامبالاة ، والتقليد العمى المطلق والانفتاح عليه دون قيد او شرط"[2].

1- هايل عبد الوهاب طشطوش ، العولمة تاثيراتها وتحدياتها ،دار الكندي للنشر ن الأردن ،2007،ص58.

2- فؤاد البنا ، العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ن مصر القاهرة ،ط1،2006،ص252.

" والناضر اليوم إلى ما يجري في ساحة المسلمين سيجد عمليات تجفيف للمنابع من خلال تعديل المناهج وإغلاق الكثير من المراكز العلمية والجمعيات الخيرية وإيقاف العلماء والتضييق على الآخرين"[1].

من خلال تحليلنا للصراع الثقافي في فكر مالك بن نبي نجده تضمن :

1-سلخ الشيء الجديد عن قيمه وعاداته الأصلية النابعة من ثقافته الحضارية الأصلية المستمدة من رسالة الإسلام.

2- غرس القيم والمفاهيم الغربية التي تتنافى مع خصوصيات المجتمع الشرقي (العربي الإسلامي) في نفوس الناس.

3-ترسيخ ثقافة الاستهلاك التي تهدف إلى استنزاف الطاقات المادية والمعنوية والأخلاقية لشعوب الأمة.

4- ترسيخ العقلية المادية البحتة في المواد الثقافية المطروحة والبعد عن الأخلاقيات وهذا يجعل المتلقي لهذه الثقافة يصاب بهوس التجبر والتكبر

4- اللهاث والعي السريع خلف التقليد الأعمى للغرب.

6-زعزعة ثقة الأمة بثقافتها العربية الإسلامية مما يسهل عملية اختراق الثقافي التي يتبعها عملية التبعية الحضارية التي تقضي على الخصوصية الثقافية للأمة.

أي إن هذا الصراع يميل دائما إلى كفة الثقافة الغربية ويطمس الكثير من معالم الثقافة الإسلامية.

1- المرجع نفسه ،ص253.

المبحث الثالث : الصراع الديني

إن إحساس الاستعمار ببقاء هذا العنصر الحيوي في باطن كل مسلم وبالدور الفعال الذي يلعبه في إبقاء هذا العنصر الحيوي في باطن كل مسلم وبالدور الفعال الذي يلعبه في إبقاءه عنصر خلوده ، هو الذي جعل الاستعمار يقف من الإسلام موقفا معاديا [1].

ا/نضرة الغرب إلى الدين : يرى الباحث عمر عوده الخطيب أن الفكر الغربي ينظر إلى الدين على انه :"قضية ميتافيزيقية تخص الفلسفة كما يعد الدين ظاهرة اجتماعية، ويعالجه كما يعالج أي ظاهرة من ظواهر المجتمع ومؤسساته ، كما يخضعه لمفاهيمه الفكرية الجديدة الناشئة من تطور الدراسات الفلسفية غير آبه لما ينجم عن ذلك من انهيار العقيدة ودمار القيم وضعف سلطات الوازع الديني على النفوس"[2].

نفهم من ذلك إن الدين عند الغرب ليس سوى ظاهرة اجتماعية أو قضية فلسفية يمكن دراستها وإخضاعها لمستجدات العصر ولا يهتم إلى ما سينجم عن ذلك من نتائج سلبية كانهيار العقيدة ودمار القيم.

1-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ،ص06.

2- عمر عودة الخطيب ، لمحات في الثقافة الإسلامية ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1،1973،ص33.

"كما يحرص هذا الفكر الغربي نفسه على ان يفصل الدين عن المجتمع وما يتصل به من نظم وأوضاع ويحصره بالأمور الروحية فحسب"[1].

معنى ذلك أنه لا يضع الدين حيث يجب ان يكون من حياة الإنسان باعتباره السلطان الوازع النازع ،الذي يضمن تماسك المجتمع ، واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، ويكون خير ضمان لقيام بين الناس على قواعد العدالة والإنصاف ،والتعاون المثمر الخير.

"لقد التبس في أذهان هؤلاء الدين الحق بالديانة الباطلة، هذا الانحراف الخطير الذي نجم عنه ذلك التصور الفاسد لحقيقة العقيدة وأثرها في حياة البشر ، وبذلك جهلوا أن الإسلام هو الدين الحق الذي يسمو بالإنسان عن التصورات الفارغة ، التي جاءت بها العقائد الوثنية"[2].

يرمي هذا القول إلى أن الغرب يرون أن الدين هو تلك الأديان الباطلة سواء منها الوثنيات التي عرفتها البشرية في أديان الفرس والإغريق والهنود والعرب في جاهليتهم والتي لا تعدوا أن تكون ضروبا من الخيالات والأساطير والهوام أو الوثنيات الأخرى التي وجدت نتيجة انحراف عن عقيدة التوحيد ، كما جاء بها موسى وعيسى عليهم السلام.

ولو أمعنوا النظر ، وطرحوا التعصب ، وبحثوا بتجرد كامل في حقيقة الإسلام لعرفوا أنه ليس قضية محضة يستوي في ذلك مع الديانة الباطلة والمنحرفة.

بل هو الدين الذي جاء لينقذ البشرية كلها من الركام ، ولينشئ لها تصورا خاصا متميزا منفردا ، وحياة أخرى تسير وفق منهج العلم القويم.

هذا ما أدى إلى صراع بين الإسلام وباقي الديانات تطرق إليه مفكرنا مالك بن نبي في كتاباته.

1- المرجع نفسه :ص34.
2- المرجع السابق ،ص35.

✓ **الصراع الديني عند مالك بن نبي :**

إن الأزمة التي يعانيها العالم الإسلامي هي أزمة روحية ، انعكست على سلوك الفرد المسلم ، إذ جعلته يصاب بنوع من التشاؤم ،واليأس ، والقنوط ، وبوهن في الرأي ، والسخط والتطرف إلى حد الارتداد عن الإسلام، إن هذه الوضعية هي التي دفعت بن نبي إلى دراسة هذا الموضوع دراسة تحليلية.

الصراع الديني عند مالك بن نبي يتمثل في "الاضطهاد الديني في كل البلدان الإسلامية المستعمرة ففي الجزائر مثلا أخذ الاستعمار غداة الاحتلال ، يحول المساجد إلى كنائس وثكنات عسكرية وإلى مفاهيم وبارات ،ذلك فضلا عن المساجد التي دمرت بأمر السلطة الاستعمارية"[1].

معنى ذلك أن أول خطوة قام بها الاستعمار من أجل القضاء على الإسلام هو استهداف المساجد وتحويلها إلى كنائس وثكنات عسكرية وملاهي وبارات ومقاهي ...الخ لأنه أدرك القيمة السامية للمساجد في أوساط المسلمين فهي بمثابة مدرسة للتربية مكان للصلاة واجتماع لمسلمين والتحامهم.

ولكن يرى مالك بن نبي إن الاستعمار لم يتجرأ على القيام بهذه الخطوة لم أمرا مهما يساعده على النجاح في مهمته وقطع تأشيرة الصدارة في هذا الصاع وهي "القابلية للاستعمار" أي القبول والتسيير من تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار وحدد له فيها حركاته وأفكاره وحياته"[2]. كأنها قضاء وقدر.

1-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ،ص6.

2- مالك بن نبي ، شروط النهضة ،ص156.

"لقد أراد الاستعمار أن نبقى دائما مشتتين متفرقين لا تجمعنا كلمة ولا عقيدة ولا وعي وطني ، فرضينا إذن بهذه الوضعية ، إ أصبحت لدينا أحزاب هما الوحيد هو التنافس على المقاعد الانتخابية "[1]. كما أراد أيضا أن تشيع الرذيلة ولكننا لم نقم بأي عمل لتعميم الفضيلة بل الرذيلة"[2].

فإرادة الاستعمار تكمن في أ تبقى دائما الأوساخ تغمرنا من كل جانب ، إن القابلية لاستعمار هي القبول بهذه الأوضاع التي لا تخدمنا ولا تعمل لفائدتنا وإنما تصب كلها لفائدة الغرب المستعمر لذلك لم يكتف بمسح المساجد فقط بل تعداه إلى"نشر روح البلبلة في صف المسلمين عن طريق تعيينه للمفتي والمأذون وفراش المسجد كما عينت إدارة لتسيير المساجد"[3]

من هنا تتجلى نية الاضطهاد الديني التي يبثها الاستعمار لنا بطرق جد مكشوفة أراد من خلالها التفرقة بين المسلمين وإثارة الفتنة في صفوفهم ولتوضيح ذلك أكثر اقتصر مالك بن نبي على الجزائر كمثال حي لما كابدته الشعوب الأخرى من اضطهاد ، وقد نتسائل هنا:

والحقيقة إن مالك بن نبي قد أجاب على هذا التساؤل كما يلي :

"أما هنا فنحن نريد أن نبحثه بحثا علميا في بلدنا ولكي نتبع المقياس الصحيح في درس الاستعمار نحتاج عن نراه في أعماق التاريخ وإن نوسع نطاق البحث فيه لأنه

1-أحمد بانسي ، المدخل إلى فكر مالك بن نبي ،ص71.

2-ينظر : خالد عربي ، صراع الحضارات بين الإسلام والغرب ، دار الفكر ، القاهرة ط2 ،2003 ،ص91.

3-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ص06.

ليس بالشئ الذي يخص علاقات الجزائر بفرنسا فحسب ولكنه يهم بصفة عامة علاقة الحضارة الغربية بالإنسانية منذ أربعة قرون"[1].

لقد حاول الاستعمار طمس معالم الدين الإسلامي ف الجزائر بطريقة غير مباشرة معتمد على وسائل خفية ، ظاهرها التعاطف مع الفقراء واليتامى وباطنها استغلال هذه الأرواح الطيبة في مسح ألوح الإسلامي النابت فيها.

" فقد انشأ بيوتا كثيرة لليتامى مثل بيت (بن عكنون) بالجزائر العاصمة ، كما اغتنم فرصة المجاعة في الجزائر سنة 1867م وانشأ جمعية الإباء البيض وغايتها تنصير المسلمين ،كما نفذ الكاردينال"لا فيجري" خطة واسعة لتنصير المسلمين في الجزائر"[2].

وبهذا " هيمنت لى المجتمع الإسلامي التقاليد والأفكار الأجنبية ، وسادت الخرافات وازدادت سيطرة الغوغاء التي أصبحت عون الغاشم ويد الظالم فتزعزعت النظر العقلي الذي شرعه الإسلام ودخلت على قلوب المسلمين عقائد أخرى سكنت عقيدتهم وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الإسلام في عقولهم تلك السياسات التي اضطهدت الدين"[3].

معنى ذلك أن سياسة الاستعمار كانت ناجحة إلى حد كبير حيث استطاعت من خلالها تحقيق هدفها وهو إطفاء نور الإسلام في عقول المسلمين وساعدهم في ذلك إيمانهم الحقيقي بمعتقداتهم كما يقول مالك بن نبي"انتصروا وكان انتصارهم منطقيا لم تكن مريضة من الداخل ، فلقد حافظوا على قيمهم الجوهرية "[4]

1-مالك بن نبي ، شروط النهضة ،ص153.

2- ينظر : عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ،ص06.

3- محمد كامل ظاهر ، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث ، دار البيروني ، بيروت ،ط1،1994،ص،186.

4- أحمد بناسي، المدخل إلى فكر مالك بن نبي،ص72.

"فيأخذون ما يجدونه مفيدا لهم فينسبونه إليهم ويزيدون ما بدالهم غير مفيد ، أو يشوهونه إذا كان بذور الريح الثورية"[1].

يرى مالك بن نبي أن أعمال المستشرقين خطر على المجتمع العربي والإسلامي ، ولم يفرق بين مستشرق وآخره لأنهم في تشويه الإسلام سواء فالاستشراف ضرره أكثر من نفعه"[2].

أثار الإستشراق فتنة وصراعات في أوساط المسلمين فانقسموا إلى :

1- فريق من علماء الإسلام ومفكرين تصدى لظروف العصر(مادية ومعنوية(بالتعديل حتى يتلاءم قالب الإسلام وعقيدته.

2- فريق أخذ نتائج الحضارة الغربية بغير تعديل ولا نقد.

3- فريق لاذ بالهروب(لما رآه من فرق بين الواقع المتدهور للمجتمع الإسلامي وقمة التحضر في المجتمع الغربي) وفضل الوقوف على أطلال ماضي الإسلام والوقوف والتغني بها.[3]

حينما واجه المسلمين الحضارة الغربية وأبهرهم وسحت أبصارهم انقسموا إلى مستلهمين لمجد حضارتهم الإسلامية السالفة يطمئنون أنفسهم بعباراتهم اللطيفة : إن بضاعتنا ردت إلينا وعلى الكفة الثانية في الميزان نجد فريقا آخر يدعو إلى تقليد حضارة الغرب في مجالها المادي والمعنوي ، فاقبل علة استيعاب نتائج هذه الحضارة بعقلية المغلوب مفتقدا قوة النقد والتمييز والفريق الذي تصدى لظروف العصر معارضا لاستعمار وحركة الإستشراق ذهب إلى رفضه اعتمادا على ما سببته من تشويه ومغالطات للتراث العربي الإسلامي ومنهم المفكر مالك بن نبي

1-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ، ص،07.

2-أحمد دكار ،تيارات فكرية ،ص188.

3-عكاشة شايف ، الصراع الحضاري في العالم الإسلامي ص 08..

الصراع الديني بين الشرق والغرب تمثل عند مالك بن نبي بذلك الاضطهاد الديني الذي استعمله الغرب من اجل القضاء على الإسلام والمسلمين وطمس معالم الشخصية الإسلامية ، تمثل هذا الاضطهاد في افتضاض ضمائر المسلمين والإطاحة بآثارهم ومسخ نتائج حضارتهم والتنكيل بمحتوى أمجاد تلك الحضارة فقد ساهم في انتشار الزنا التي حرمها الله سبحانه وتعالى.

حين سمح بفتح بيوت الدعارة وشجع أيضا على زيارة الأضرحة وانتشار الشعوذة والدجل بما كان يقدمه لرواد هذه الحركات من مساعدات مالية ومعنوية ، مختفيا أحيانا كثيرة وراء ضرورة احترام عادات وتقاليد ومقدسات الشعب ، كما شن حملات" تنصير" واسعة من أجل تنصير الشعوب المستعمرة وإدخالها في العقدة المسيحية، كما أثار الإستشراق فتنة وصراعات في أوساط المسلمين.

غلى غير هذه الوسائل التي قصد بها الاستعمار طمس معالم الشخصية المسلمة وإتلافها حتى لا يتسنى للمسلك أن يسترجع يوما ما مبادئ الإسلام.

ومن هنا يتضح لنا أن الصراع الديني هو من أهم الصراعات التي تطرق لها مالك بن نبي في كتاباته.

المبحث الرابع : الصراع الاجتماعي

قال الله تعالى :"إن الملوك* إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا عزة أهلها أ ذلة وكذلك يفعلون"النمل-28)

إن هذه الآية التي صدرنا بها تكشف لنا عن فلسفة الاستعمار في المجتمع البلاد المستعمرة ، إذ يحذف الاستعمار بحياة المستعمر من كل جانب ويوجهها توجيها ماكرا لا يغفل الظروف وأدق التفاصيل.

ويرى مالك بن نبي ف هذا المجال إن "الاستعمار بصورته هذه يعد عنصرا جوهريا في فوضى العالم الإسلامي فهو لا يتدخل فقط بمقتضى العلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم بين المستعمر والمستعمَر وإنما يتدخل أيضا بصورة خفية في علاقة المسلمين بعضهم البعض"[2].

كذلك تجده يحول بين الشعب وبين إصلاحه نفسه ، فيضع نظاما للإفساد والإذلال والتخريب ، يمحو به كل كرامة أو شرف أو حياء.

وهكذا يجد الشعب المستعمر نفسه محاصرا داخل دائرة مصطنعة يساعد كل تفاصيل فيها على تزييف وجود الأفراد ،يعد تفويضا للشعوب يعتدل دائما تبعا للطوارئ ، ليقف في وجه كل محاولة او طاقة جديدة فيحدها ويهدمه.[3]

ومن السهولة ان يعرف ما يريد الاستعمار أن يقحمه في المجتمع الإسلامي الحديث من عناصر الارتجاف ،وعوامل التنافر ويرى بن نبي أن سبب ذالك يعود إلى:

1-* الملوك : يقصد بها الغزاة المستبدون ،لأن الملك بشكله المعروف أسلوب من أساليب الحكم لتنظيم المجتمع بضمان العدالة فيه ، لا يتنافى مع المبدئ الأخلاقي.

2-ينظر : مالك بن نبي ، مجالس دمشق ،ص75.

3-ينظر : مالك بن نبي ، فكرة كمنويلث إسلامي نص70.

"مقدرته وطموحه غير المحدودين يوسوسان له بفكرة مجنونة دامية ،هي إيقاف سير الحضارة في البلاد المستعمرة ، لذلك نجده يجند جموع المتخلفين المتهالكين لتقف في وجه دعاة التجديد"[1]

وقد ميز بن نبي نتائج هذه الفلسفة إلى صعيدين : الصعيد المادي ك"نجد الاستعمار بخلاف ما يدعيه يبذل أقصى ما يمكن لإفقار البلدان المستعمرة وحرمها عن أصحابها ، وحتى أصبحوا يعانون من المجاعات والأمراض"[2].

الصعيد الخلقي : عمد الاستعمار إلى إفساد أخلاق الشعوب المستعمرة بكل الوسائل "حتى إنه من اليسير على المواطنين المستعمرين أن يحصلوا على رخصة لفتح حانة أو بار أو أي ملجأ لفساد والدعارة من أن يحصلوا على رخصة لفتح مسجد أو نادي أو أي مركز للتربية والتعليم فضلا عن تشجيعه للعناصر المخربة للأخلاق"[3].

فالاستعمار يعلم جيدا أن أساس نجاحه في هذه المهمة هو ما تتضمنه نفسية الشعوب عامة من ميل طبيعي نحو (الشهوة) والأشياء المسهلة فيضاف شيء من الإغراء إلى هذه الجاذبية الطبيعية وسوف نتصور حتمية الانزلاق إلى وحل السهولات المغرية[4].

يشغل الاستعمار هذه الإستعدادت وتقرن أسبابها النفسية بخطط تربوية مناسبة في البلاد المستعمرة لأنها ليس لديها في ثقافتها الموروثة من عهد الانحطاط ما يقاوم

1-مالك بن نبي،وجهة العالم الإسلامي،ص110

2-عكاشة شايف، الصراع الحضاري في العالم لإسلامي

3-ينظر : مالك بن نبي ، في مهب المعركةنص44.

4-مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ،ص28.

أسباب الانحراف في نفسية شعوبها ، فيصل إلى أن يضع الاستعدادات سياسة (عاطفة شهوانية) تتفق مع مصالحه فيربط عواطف الشعب الطيبة بشهوات بمركب أفراد معين.[1]

نفهم من ذلك إن الاستعمار يستغل جهل الشعوب المستعمرة وميلها نحو السهولة فيبرم خططه المحكمة ليضيف عليها الخناق ولتقع في شباك مغرياته لا محالة

ويرى مالك بن نبي في هذا الصدد أيضا انه :" إذا وصل المجتمع في هذا الحال وإذا تفككت شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع وارتخى التوتر في خيوطها ، تصبح عاجزة عن القيام بنشاط مشترك بصورة فعالة ، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض وانه ماض غلى نهايته"[2].

معناه إذا تفككت الشبكة نهائيا ، فذلك إيذان بهلاك المجتمع ، وحينئذ لا تبقى من غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ.

"وربما كانت هذه الحالة م التحلل والتمزق في المجتمع الإسلامي حين أصبح عاجزا عن أي نشاط مشترك"[3].

وعندما رأى لاستعمار هذه الحالة المزرية وجد أرضية خصبة لطمس حياته الاجتماعية وتلبيدها بالغيوم لتفصل بين الشعب وأخلاقيات مجتمعه الإسلامي الغرب "غرس القيم والعادات والسلوكيات والنماط الفكرية الغربية في أذهان الناس خصوصا فئة الشباب مما خلق جيلا جديدا من قيمه وعاداته الأصلية بل

1-المصدر نفسه ،ص28.

2-مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،ص39.

3- المصدر السابق ،ص39.

إنه ينظر إليها بازدراء مما انعكس سلبا على البناء الاجتماعي الأسري فتصدعت أركان الأسرة وأصبح نظامها هشا ضعيفا"[1]

معنى ذلك أنه درس جيدا المجتمع الإسلامي وتوضح له أن الشاب هو عماد الأمة الإسلامية فوجه ضرباته غليه.

"مما أدى غلى تزعزع أركان المجتمع وخلق فيه نوعا من التفكك وعدم الاكتراث بين الأفراد لما يصيب احدهم كل سعي على مصلحته الخاصة بعيدا عن المصلحة الجامعية لأمة"

وبهذا ترسخت البرغماتية الغربية في أذهان المسلمين فتفككت وحدتهم وتفرق شملهم" إضافة لذلك كله اللهاث والسعي خلف التقليد العمى لما يشاهد عبر وسائل ألللإعلام من موضات في اللباس وقصات الشعر وأنواع متنوعة من العطور والماكياجات بل أصبحت تشاهد في مجتمع إسلامي شبابا ليسوا كالشباب"[2].

الصراع الاجتماعي بين الغرب والشرق عند مالك بن نبي تمثل في كل الأشكال القمعية التي استخدمه الغرب(الاستعمار) في سبيل تحقيق ما وصل إليه اليوم ، فتشد الشعب عن دياره ، وعزله عن محيطه العربي أرضا وسمانا وأفسد أخلاقه وابتلع حرية وعمل على اقتلاعه من أرضه وتوظيف شعوب أخرى جاءت من مختلف بقاع العالم مكانه ، استخدم التشريد والسجن والمصادرة ، ونسف البيوت ، والطرد الجماعي ، والتشويه الجسدي ، وذلك من اجل تحقيق ما قال عنه البشير الإبراهيمي : "جاء الاستعمار الفرنسي غلى هذا الوطن كما تجيئا لمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت"

1- هايل عبد الوهاب طشطوش، العولمة تأثيرات وتحديات ،ص60

2-المرجع السابق،ص60.

الفصل الرابع

الفصل الرابع : قابلية الاستعمار عند مالك بن نبي

المبحث الأول : الاستعمار مفهومه ، أشكاله، أهدافه.

المبحث الثاني : رأي مالك بن نبي في قابلية الإستعمار.

المبحث أول :. مفهوم الاستعمار:

- الاستعمار لغة هو طلب التعمير والسعي لتحقيق العمر[1] قال تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}[2].

- الاستعمار اصطلاحاً يطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر لنهب ثرواته واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفراده لمصالح المستعمرين.

ويرافق ذلك اتخاذ مخططات تحول هذا الشعب عن دينه ومفاهيمه ومبادئه إلى ما عليه دولة الشعب الغالب المستعمر من مبادئ ونظم وعادات إذا كان بين الغالب والمغلوب تباين في ذلك.

إن الاستعمار مهما تعددت أساليبه وأشكاله فهو حركة توسع من جانب الدول القوية لى حساب دول أخرى تقوم باحتلالها وإخضاعها بالقوة بهدف نهب ثرواتها الطبيعية وتسخير طاقاتها البشرية في خدمة مصالحها.

1- الاستيطان:

شجعت الدول الاستعمارية رعاياها على الهجرة إلى البلاد التي تم اكتشافها التي ترغب في استعمارها وعملت على استيطانهم فيها لاستغلال ثرواتها كما لجأت في بعض الأحيان إلى قتل السكان الأصليين وتشريدهم ومصادرة أرضيهم وتوزيعها على المستوطنين كما حصل في فلسطين وجنوب أفريقيا .

2-الاحتلال العسكري:

هو عبارة عن قيام الدول الاستعمارية القوية باحتلال أراضي الدول الضعيفة وإخضاع شعوبها بقوة السلاح ومن الأمثلة احتلال فرنسا للجزائر وتونس.

3- الحماية :

هي احتلال بلد معين وإجبار حكامه على توقيع معاهدة حماية توضع بموجبها الشؤون الخارجية والعسكرية والمالية لهذا البلد تحت تصرف الدولة التي قامت بالاحتلال ومن الأمثلة على ذلك: معاهدات الحماية التي فرضتها بريطانيا على حكام منطقة الخليج العربي والجنوب العربي في أوائل القرن التاسع العشر الميلادي.

1- الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ،محمد عوض ،دار المعارف ،مصر ،ط2 ،1985.
2- سورة هود :الآية :61.

4- الانتداب :

أوجدت الدول المنتصرة بعد الحرب العالمية الأولى شكلا جديدا من أشكال الاستعمار أطلقت عليه)) الانتداب ((وهو عبارة عن وضع ممتلكات الدول المهزومة في الحرب العالمية الأولى تحت سيطرتها بحجة النهوض بشعوبها ولكن الهدف الحقيقي هو نهب ثروات هذه الشعوب وجعلها سوقا رائجة لمنتوجاتها .

ومن الأمثلة على ذلك :

وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى ووضع فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي.

5-الوصاية :

أقرت هيئة الأمم المتحدة نظام الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية كبديل لنظام الإنتداب وبموجبه وضعت بعض الدول التي كانت تحت الإنتداب تحت وصاية الدول الكبرى للوصول بشعوبها إلى الاستقلال الكامل ومن الأمثلة على ذلك: الوصاية الدولية على كل من ليبيا والصومال.

1- انظر : الصراع الحضاري في العالم الإسلامي د شايف عكاشة- ط1 1990 ص42.

✓ أهداف الاستعمار:

الأهداف السياسة :

وتتمثل الأهداف السياسية في" تحسين مركز الدولة الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على سلم القوى الدولي، إذ إن تحسن المركز الدولي للدولة يوسع دائرة نفوذها في المجتمع الدولي، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارات الدولية وتوجيهها لصالحها،" ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام (1884م) مؤشراً على ذلك، فقد عقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ[1].
ويفسر العالم الأمريكي هانس مورغانثو الإمبريالية بأنها "سياسة تستهدف قلب الوضع القائم والقيام بمراجعة علاقات القوى بين دولتين أو أكثر من أجل تحقيق تفوق محلي أو إقامة إمبراطورية قارية أو تحقيق هيمنة عالمية ويرى أن الدول كالأفراد لديها "شهوة القوة" أي الرغبة في تحسين وضعها باستمرار، من غير الاقتناع بالوضع القائم.
ولكي تتمكن الدولة الاستعمارية من تعزيز مركزها الدولي في إطار هذا التنافس، لا بد لها من زيادة مواردها، وهو أمر يستدعي البحث عن موارد خارج حدودها، فقامت هذه الدول بالإجراءات الآتية " [2] :

تمويل بعثات الاستكشافات الجغرافية التي تستهدف البحث عن مناطق غنية بالموارد أو يمكن الاستثمار فيها، "ومن أمثلة ذلك تمويل رحلة فاسكو دي غاما البرتغالي الذي اكتشف الطريق إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في رحلته التي دامت من (1497 – 1498م)، وتمويل الإسبان لبعثة كريستوفر كولومبوس الذي اكتشف السواحل الأمريكية (البهاما) عـــــام (1492م). وتمويل بعثة ماجلان الذي وصل إلى سواحل أميركا الجنوبية عام (1519م)، وعبر الباسيفيكي (الهادي) إلى الفلبين حيث قتل هناك، كما تعرضت القارة الإفريقية إلى حملات استكشافية في القرن الخامس عشر الميلادي، لا سيما المناطق الساحلية، و"تواصلت هذه الحملات إلى القارة الإفريقية حتى القرن التاسع عشر من البعثات البريطانية والفرنسية والألمانية"[3].

1–سليم كاطع علي ،مقومات القوة الامركية واثرها على النظام الدولي ، مجلة دراسات دولية ، العدد 42، ، تشرين الاول 2009.

2––الإسلام والحضارة الغربية ،محمد محمد حسين ،مؤسسة الرسالة بيروت ،ط3 ،1987.

3– فهمي جدعان ، نظرية التراث ودراسات عربية إسلامية أخرى ،دار الشروق ن الأردن ، ط1 ،1985 ،ص،132.

الاحتلال العسكري المباشر للمناطق الغنية بالموارد، وإرسال موجات من المستوطنين في بعض الأحيان إلى المناطق التي تمت السيطرة عليها .

ومن أمثلة الاحتلال العسكري المباشر: الاحتلال البريطاني لعدن عام (1839م)، ولمصر عام (1882م)، ولنيجريا ابتداء من عام (1861م)، والاحتلال الفرنسي للجزائر عام (1830م)، ولفيتنام عام(1858م) ، والاحتلال الاسباني لمناطق من المغرب عام (1912م).
أما المناطق التي عرفت استعماراً استيطانياً فمن أمثلتها:الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والاستيطان الهولندي في جنوب إفريقية منذ عام (1652م)، والاستيطان البريطاني فيها منذ 1823م.

السيطرة على المواقع: "يستدعي تعزيز المركز الدولي للدولة الاستعمارية سيطرتها على المواقع التي تمثل مراكز، يمكن منها السيطرة على طرق المواصلات أو التحكم بمنابع بعض الأنهر أو مجاريها، أو منع تشكيل أحلاف متصلة جغرافياً مع بعضها."1 ويكاد الوطن العربي يمثل أبرز مثال عل الموقع الاستراتيجي والتنافس في السيطرة عليه، فقد تنافست الدول الأوروبية على الوطن العربي وما زالت، إذ إن السيطرة عليه تعني التحكم في شبكة المواصلات التي تربط بين القارات الثلاث أوروبا و آسيا و إفريقية، تنافست بريطانيا و فرنسا على مصر، وعلى نهر النيل، واشتد التنافس بعد حفر قناة السويس، وقسمت الدول الأوروبية الوطن العربي إلى مناطق نفوذ في مراحل مختلفة." فكانت فرنسا في سورية ولبنان والمغرب العربي و جيبوتي، واستولت إيطاليا على ليبيا، واستولت بريطانيا على فلسطين والأردن والعراق ومصر والسودان ومناطق من اليمن، " 2وكانت بعض مناطق المغرب خاضعة للاستعمار الإسباني. استخدام بعض المناطق المستعمرة لإجراء التجارب النووية

1-التبشير والإستعمار،عمر فروخ ،مصطفى الخالدي ،ط3، 1979،ص48
2-ينظر أجنحة المكر الثلاثة - أ. عبدالرحمن الميداني ص179.
3- التنصير في البلاد الإسلامية - محمد الشرفي ص61.

أجرت فرنسا تجربتها النووية الأولى في الصحراء الجزائرية عام (1960م)، كما استخدمت بريطانيا وفرنسا عدداً من الجزر في المحيط الهادي لإجراء التجارب النووية.

الأهداف الاقتصادية:

الحصول على المواد الخام: "أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام"[1] التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة .

ولسد حاجة مصانع الدول كافة من المواد الخام، اندفعت الدول الأوروبية تبحث عن هذه المواد في أرجاء العالم (كالقطن من مصر، والماس والذهب من جنوب إفريقية والأراضي الزراعية في الشمال الإفريقي ...إلخ .

أما في القرن الماضي، فإن التنافس الأوروبي على النفط في المناطق العربية (على سبيل المثال). الذي بدأت تتضح ملامحه في الثلاثينيات بشكل واضح، فقد اندفعت الشركات البريطانية والأميركية والهولندية والفرنسية تتنافس في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في هذه المناطق .

إيجاد الأسواق لتصريف إنتاجها: ولّدت الثورة الصناعية حركة تصنيع واسعة، فانتشرت المصانع الكبيرة في الدول الاستعمارية، وزاد إنتاجها عن حاجة أسواقها، فبدأت تبحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتها، وكان الاستعمار هو الوسيلة التي تضمن للدول المستعمرة السيطرة على الأسواق الخارجية مع الدول المستعمرة.
الحصول على الأيدي العاملة الرخيصة: عملت الدول الاستعمارية لنقل الملايين من الأفراد من المناطق التي استعمرتها إلى مناطق أخرى، من أجل تشغيلهم بأجور زهيدة أو التجارة بهم بوصفه رقيقا .

أما في الوقت الحاضر، فإن كثيراً من اقتصاديي الدول النامية يشيرون إلى نقل الدول الصناعية بعض مصانعها إلى الدول النامية، للاستفادة من رخص الأيدي العاملة في هذه الدول.

1- ينظر قضايا إسلامية معاصرة – أ.د. حسن العلكيم ، ص55-56.

تأمين طرق المواصلات : تلجأ كثير من الدول إلى استعمار مناطق جديدة لتأمين طرق المواصلات إلى مستعمراتها في المناطق المختلفة، من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة على مصالحها الحيوية واستخدام محطات تجارية .

الأهداف الدينية والثقافية :

ويتلخص الهدف الثقافي للدولة الاستعمارية في إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجتمع المستعمرات،لجعله أكثر ارتباطا بالدولة المستعمرة .

الأهداف الثقافية :

عند إلقاء نظرة على الخريطة اللغوية للعالم، نجد أن" لغة المستعمر تحل مكان اللغة المحلية في البلدان المستعمرة" [1]؛ فأغلب المستعمرات الإسبانية في أميركا اللاتينية تستخدم اللغة الأسبانية لغة رسمية، وتعد الإنجليزية اللغة الرسمية لعدد من المستعمرات البريطانية مثل: الهند ونيجيريا وجنوب إفريقية، كما تعد الفرنسية اللغة الرسمية في المستعمرات الفرنسية مثل تشاد ومالي والسنغال، وتعد اللغة البرتغالية لغة موزمبيق الرسمية بوصفها مستعمرة برتغالية سابقة .

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان*
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

وإذا طبقنا ذلك على اللغة الثانية في عدد من الدول، فسنجد أنها لغة المستعمر، كما هو حال الإنجليزية في العراق ومصر والأردن، والفرنسية في دول المغرب العربي، وهو أمر ينسجم مع ما قاله

العالم تريتشكا من:" أن اللغة هي أساس التجارة المزدهرة، إذ إن الأمة لا تفقد مستعمراتها المرتبطة بها باللغة والثقافة حتى لو انقطعت الرابطة السياسية"[2].

الأهداف الدينية :

ارتبط عدد من الحملات الاستعمارية بوجود بعثات وإرساليات تبشيرية دينية، وقد نجح عدد منها في تنصير قطاعات من سكان المستعمرات، وكان أبرز حالات النجاح في هذا المجال في الدول الإفريقية مثل جنوب السودان وجنوب نيجيريا.

1-الفكر الإسلامي المعاصر ،غازي التوبة ،دار القلم بيروت ،ط2 ،1988.ص68.
2- ينظر الإسلام في وجه التغريب – أ. أنور الجندي ص127-134.

الأهداف السكانية الديمغرافية :

يتمثل الهدف السكاني (الديموغرافي) في عدد سكان ونسبة الزيادة السكانية والكثافة السكانية وغيرها، ومن الملاحظ أن أوروبا عرفت زيادة سكانية كبيرة في القرن التاسع عشر، فقد ارتفع عدد سكان أوروبا عام (1800م) من (187 مليون نسمة) إلى (401 مليون نسمة) عام (1900م)، وهو الأمر الذي أدى إلى تعزيز فكرة الاستيطان الخارجي في الدول غير الأوربية .

وقد اعتمدت بعض الدول نظرية المجال الحيوي لتخفيف الضغط السكاني عندها بالسيطرة على أقاليم معينة ونقل الفائض السكاني إليها، وهو ما "اعتمدته ألمانيا وإيطاليا واليابان في الحربين العالميتين،"[1] ولذا فإن من حق الدول الاستعمارية أن تنمو على حساب المناطق التي فيها أماكن للفائض السكاني، وقد قامت في أوروبا عند اشتداد البطالة في القرن التاسع عشر مدرسة الإصلاح الاستعماري التي دعت لتحويل الفائض السكاني إلى المستعمرات واستخدامهم في الزراعة، "وكان في بريطانيا في هذه الفترة (103) جمعيات لهذا الغرض."[2] لا شك أن المناطق التي اتخذها الاستعمار الأوروبي هدفاً له كانت على درجة كبيرة من الضعف والتأخر الاقتصادي والسياسي والعسكري والعلمي، وكان هذا دافعا قويا للدول على التوسع .

الاستعمارية لاتخاذ مجموعة من الذرائع لتسويغ مسلكها الاستعماري، إذ تحاول إخفاء الدوافع الحقيقة للاستعمار، ولكنها في معظم الأحيان ليست إلا ستاراً للأسباب الأصلية،

1-ينظر التنصير في البلاد الإسلامية : محمد الشثري ص66-65.
2-أجنحة المكر الثلاثة - عبدالرحمن الميداني ص51.

المبحث الثاني :قابلية الاستعمار

لقد تعددت الآراء و اختلفت بين متفهم و متنكر لفكرة مالك بن نبي حول القابلية للاستعمار[1]، كما تعددت التفاسير و الشروح لها كلا حسب فهمه من جهة و ميوله و رغبته من جهة أخرى، إلا أنه و رغم الأهمية العلمية لهذه الكتابات بالتعريف بفكر مالك بن نبي رحمه الله، بصفة عامة و فكرة القابلية للاستعمار بصفة خاصة، لم نجد في هذه التفاسير من استطاع أن يشرح مضمون الفكرة بشكل يتماشى و رؤية الأستاذ مالك الكلية لمفهوم الحضارة، من جهة أنها إرادة إنسانية و اجتماعية و في نفس الوقت، مسؤولية تقتضي من المجتمع الحفاظ عليها إذا ما تمكن من تحقيقها عبر تاريخيه و إلا انتقمت هذه الحضارة – الفكرة– بشكل يكون الاستعمار هو الصورة الواقعية لهذا الانتقام .

نعتقد من هذه الزاوية يجب النظر إلى مفهوم القابلية للاستعمار، لهذا سنعمل في هذا المقال على تبيين ذلك انطلاقا من رؤيته للمجتمع و التاريخ.

كما لا بد أن نشير قبل البدء في مناقشة الموضوع، أننا في هذا المقال لا نزعم التفصيل في مفهوم كلمتي المجتمع و التاريخ في الرؤية البنابية و لكن سنحاول قراءتهما وفق علاقتهما بفكرة القابلية للاستعمار، لهذا نستسمح من هو أقدر منا على فهم فكر الأستاذ مالك بن نبي أن يراعي هذه الملاحظة كي لا يسيء فهمنا أو يتهمنا بالخروج عن الموضوع.

يحدد الأستاذ مفهوم المجتمع من زاوية وظيفية، فهذا الأخير لا يمكن أن نطلق عليه وصف المجتمع إلا إذا حكمته وظيفة تاريخية تفرز حركة تاريخه من خلال إنتاجه لوسائلها من جهة و المحافظة على وتيرة هذه الحركة من جهة أخرى، مع تحديد الهدف من وراء هذه العملية الاجتماعية. فالوظيفة التاريخية، في نظر الأستاذ مالك بن نبي، تخلق لهذا الكائن، الذي نطلق عليه وصف مجتمع، ديناميكية متواصلة تمكنه من القدرة على الاستمرار و البقاء، حين تدفع به نحو تجديد نشاطه و التغلب على بواعث الركود التي ورثها من مرحلة ما قبل الحضارة، المرحلة التي لم يكن قد استوفى فيها بعد شرط صفة المجتمع، لهذا كانت الوظيفة التاريخية شرطا موضوعيا يحقق لجماعة بشرية ما المبرر التاريخي الذي يمكنها من التحول من تجمع بشري تحكمه قوانين الطبيعة البدائية إلى مرحلة يعود فيها قادرا على توظيف هذه القوانين من أجل غايته و أهدافه أو بعبارة أخر يصبح فيها كائن صانعا لتاريخ، من خلال خضوعها إلى مبدأ الحركة أو كما يسمى مبدأ التطور و التغيير، ففي نظر الأستاذ مالك بن نبي " ... كل جماعة لا تتطور و لا يعتريها التغيير في حدود الزمن، تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة مجتمع"[2].

1–الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : محمد البهي ، دار الفكر ، ط 2 سنة 1986 ، ص 58 ،ص 60

2– ميلاد مجتمع ، مالك بن نبي ،دار الفكر ،ط2 ،1999،ص،70.

فالحركة أو ديناميكية كما سبق الإشارة إليها، تتشكل وفق الرؤية البنابية في تفاعل عوالم ثلاثة، حيث يعمل عالم الأفكار على رسم الصورة المرجعية و الإيديولوجية لهذه الحركة و عالم الأشخاص يحدد غاياتها و أهدافها و عالم الأشياء يشكل وسائلها و مادتها الأولية، ضمن شبكة علاقات اجتماعية تأشر درجة التوتر فيها على قوة ترابط أجزاء هذه العوالم كما يحدد ناتجها فعالية المجتمع في التاريخ، فـ" المجتمع ليس مجرد اتفاق عفوي بين الأشخاص و الأفكار و الأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الثلاثة، التركيب الذي يحقق معه ناتج هذا التركيب في اتجاهه و في مداه تغيير وجه الحياة، أو بمعنى أصح : تطور هذا المجتمع"[1]

لهذا كانت من مقتضيات الوظيفة التاريخية في رسم معالم المجتمع التاريخي، تحدد شكل علاقاته الداخلية، حين تكيف هذه الأخيرة، الغرائز البدائية للفرد مع متطلباتها الموضوعية، فتحوله بدوره إلى شخص مشروطة (conditionné) فيه هذه الأخيرة بشروط هذه الوظيفة و بالتالي يتحرر من مقتضيات مرحلة ما قبل الحضارة، فلا يعود كائن غرائزي مصبوغ بقوانين المرحلة الطبيعية، بل يخمد مفعولها السلبي المعيق لقدرته على تجاوز ركود وسطه البدائي[2]، لصالح مضمون الوظيفة الاجتماعية الجديدة، و بذلك تتحول إلى صفات اجتماعية تصب في بوتقة العمل الاجتماعي المشترك الذي تمليه متطلبات الطور التاريخي الجديد، فتصطبغ شخصيته بأهداف و مبتغيات المجتمع الكبرى ليعود بدوره كائن وظيفي منسجم مع مضمون دوره الاجتماعي الجديد. ذلك أن علاقة الفرد بالمجتمع في المرحلة التي يبدأ فيها هذا الأخير بالاتجاه نحو القيام بدور تاريخي معين، تصبح علاقة وظيفية، حيث لا يمكن تقييم دور الفرد إلا من خلال قدرته على الانسجام و وظيفة المجتمع، و عليه يعد هذه الطور، طورا متميزا من أطوار الحضارة في الرؤية البنابية، فقد بلغة درجة الانسجام بين عناصره أسمى درجات التكيف الاجتماعي.

1-الإسلام والحضارة الغربية ،محمد محمد حسين ، ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط1 1987، ص 58

2- المرجع نفسه ،ص78.

إلا أن و برغم أن بداية تشكل المجتمع تعتمد في نظر الأستاذ مالك على دور الفرد ككائن وظيفي في بناء دعائم المجتمع التاريخي، كما سبق الإشارة إليها في الفقرة السابقة، إلا أن سرعان ما تتحول هذه مركزية من الفرد إلى المجتمع في المرحلة التي تكون قد اكتملت فيها صورة الحضارة، أي في المرحلة التي يصبح فيها الإمكان الحضاري ضرورة ملحة لإحداث التوازن الاجتماعي، ذلك أن التوسع الجغرافي الذي أحدثه التمدد الطبيعي للمجتمع نجم عنه متطلبات جديدة لم تكن ملزمة للمجتمع في مرحلته الأولى حين كان الإمكان الحضاري عنصرا غير ذي بال في وجدان الفرد. فقد تبدلت تركيبة الفرد النفسية بتبدل الطور الحضاري للمجتمع.

من هنا أصبح من مقتضيات الوظيفة التاريخية في هذه المرحلة الحضارية، "ضرورة توفير المجتمع للفرد الضمانات الاجتماعية اللازمة لتوجيه جهده و نشاطه نحو غايات هذه الوظيفة،"1 فنشاط أي فرد يولد في مجتمع ما مرهون بمدى قدرة هذا الأخير على توفير هذه الضمانات، ذلك أن الفرد في الرؤية البنابية، ليس مجرد كائن منعزل في وسطه البشري، بل هو كائن مرتبط ارتباط عضويا بهذا الأخير. لهذا كانت الضمانات الاجتماعية في هذا المرحلة من مراحل الحضارة ليست إلا حق الفرد على المجتمع من حيث مسؤولية هذا الأخير على تكييف نشاط أفراده، حيث أن فعاليتهم في نظر الأستاذ مالك تعتبر النتيجة الطبيعية لإمكانات وسطه الاجتماعي، حيث لا يمكنه أن يحقق قدراته و مواهبه إلا إذا استطاع المجتمع توفير الضمانات الاجتماعية اللازمة لذلك، لهذا كانت حظوظ الفرد المولود على محور اكتملت فيه صورة الحضارة بجميع شروطها، من حيث احتمال تنمية مهاراته الفكرية أو إشباع حاجاته المادية، أوفر حضا من تلك التي تتوفر لفرد أخر يولد على محور فقد فيه المجتمع حضارته، حيث تتقلص حظوظه تحت سطوة غياب هذه الضمانات، فدور المجتمع في الحفاظ على وتيرة صيرورته التاريخية في هذه المرحلة، أو بالأحر المحافظة على بقائه ككائن تاريخي أصبح دورا حيويا من خلال ضمان وظيفة الفرد الاجتماعية التي لا يمكنها أن تتحقق إلا إذا استطاع هذا الأخير توفير هذه الضمانات الاجتماعية لكل فرد من أفراده.

و عليه و إذا أردنا أن نخلص إلى تفسير لفكرة المجتمع في الرؤية البنابية، نستطيع أن نحددها من حيث أنه:

كائن مدرك لدوره التاريخي من جهة و متحرك في الزمن من جهة أخر، بل إنه دائم

1- دراسات في الثقافة الإسلامية :صالح ذياب هندي ط2 ،بدون اسم الناشر، سنة ، 1991م

الحركة فهو مجدد لخصائص علاقاته الاجتماعية في كل طور من أطوار كينونته أي أنه كائن ديناميكي.

كما انه رهين جدلية وظيفته التاريخية فهو نتيجة لهذه الوظيفة من جهة، فلا يمكن أن يكون المجتمع مجتمعا إلا إذا كانت تحكمه وظيفة تاريخية معينة و أنه من جهة أخرى، مفرز لمقتضيات هذه الوظيفة، من حيث اشتراط نزعات الفرد البدائية بشروط الوظيفة التاريخية و بمدى قدرته على توفير لكل فرد من أفراده، الضمانات الاجتماعية اللازمة للقيام بهذه الوظيفة.

وبالتالي يمكن أن نستنتج من ذلك أن المجتمع في النظرة البنابية ليس إلا تجسيد لوظيفة التاريخية ما و التي تظهر صورتها الكلية في ما يمكن أن نطلق عليه اسم الحضارة.
مجتمع = وظيفة تاريخية
يقول الأستاذ مالك بن نبي " و هكذا الأمر، فإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما و كيفا في شبكة علاقاته...
و عندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة، فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض، و أنه ماض إلى النهاية[1]

بهذه العبارات يسجل الأستاذ مالك بن نبي رؤيته للحظة بداية خروج المجتمع من التاريخ، أو اللحظة التي يبدأ عندها فقدان وظيفته التاريخية، لحظة بداية تشكل القابلية للاستعمار.

يتفق الأستاذ مالك بن نبي مع ابن خلدون في رؤيته لقانون الدورة التاريخية، فالحضارة، إلا سلمنا جدلا أن هذا الأخير تحدث عن الدولة باعتبارها اكتمال صورة الحضارة، تبدأ و تنتهي في نقطتين منفصلتين في محور الزمن، تشكل الأولى لحظة الانبعاث، يطلق عليها الأستاذ مالك مرحلة الروح، كما يطلق على لحظة الأفول مرحلة الغريزة، حيث يكشف هذا الطور الأخير من أطوارها تتمة لدورة حضارة ما.

هذا الحتمية التاريخية التي يسجلها الأستاذ مالك، ليست عملا عبثيا يلهو التاريخ بإخضاع الحضارات إليها، بل هو نتيجة طبيعية لجملة عوامل موضوعية تساهم في تفكيك العناصر المنتجة للحضارة. يسجل الأستاذ مالك بن نبي لحظة بداياتها عند ظهور شكل جديد من أشكال العلاقات الاجتماعية، تتناقض و مضمون الوظيفة التاريخية التي شكلت المجتمع التاريخي لحظة ميلاده، حيث تبدأ هذه الوظيفة في فقدان سلطتها على المجتمع لتتحلل بدورها مقتضياتها بشكل متتالي، فيصبح نشاط الفرد، كما اشترطت سلوكه هذه الأخيرة عند أول لقاء، إلى حالته البدائية و بالتالي ينكص مفعول نشاطه.

1- زعماء الإصلاح :أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، ط 1990

فتعود غرائزه البدائية التي خمد مفعولها في الطور الأول من أطوار الحضارة لتحكم في سلوكه، مما يفقده تكيفه الوظيفي، و عندها يصبح هذه الأخيرة مجرد سلوك تمليه طبيعة العيش الجماعي دون الوعي بغاياته، كما تملي الغريزة على الحيوانات تصرفاتهم البيولوجية، لينعكس بدوره هذا التحول في شخصية الفرد على شبكة العلاقات الاجتماعية، فتفقد هي الأخرى مركزيتها في تفعيل عالم الأفكار و الأشخاص و الأشياء، مما ينجم عنه بالضرورة فقدان المجتمع قدراته على توفير الضمانات الاجتماعية اللازمة للعمل الاجتماعي المشترك، وعليه يتولد الاضطراب اجتماعي، لتظهر صورته في تعاطي عالم الأفكار مع الإشكاليات العصر، حيث ينحرف تعاطيه الوظيفي بإيجاد الحلول المناسبة و الواقعية للإشكالات المطروحة ، إلى معالجة قضايا لا تمت بصلة للواقع الاجتماعي، فيصبح بذلك عالم مقطوع الصلة بمتطلبات هذا الواقع، مما ينذر بدخول المجتمع مرحلة ما بعد الحضارة، المرحلة التي يصبح فيها معرض لأي ظرف طارئ قد يدفع به نحو الاستعمار، فقد فقدت الوظيفة التاريخية دورها في شحذ همت المجتمع نحو الغاية التي أسست من اجلها و بدوره فقد هذا الأخير ، وظيفته التاريخية[1]

من هنا كان الاستعمار في نظر الأستاذ مالك بن نبي، ليس إلا نتيجة طبيعة للقابلية المجتمع لهذا الوضع، فإذا ما تفسخت أوضاعه الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، مما يفقده قدرته على الاستمرار في أداء نشاطه الوظيفي، انتهى به الحالة إلى أن يصبح كائن مستعمر[2] .Colonisé (فمجال دراسة الاستعمار La colonisation في نظر الأستاذ مالك بن نبي لا يمكن أن تدرس في اللحظة التي يدب فيها دبيبه على أرض المستعمرة Le Colonisé حيث اكتملت التركيبة التي مكنت المستعمر Le Colonisateur من إتمام صورت فعله الاستعماري، بل لابد أن نعود بهذه الدراسة إلى خارج مجال هذه اللحظة، حيث تبدأ بواعثه تتشكل في تفاصيل سلوك المستعمر Le Colonisé هذه التفاصيل التي يؤرخ لها مؤرخ كابن خلدون حين يصور لنا في كتابه العبر لحظة التي تبدأ فيها بوادر القابلية للاستعمار تأخذ مكانها في العلاقات الاجتماعية حيث يكتب متأملا في أوضاع المغرب الإسلامي قائلا: ". ... و كأني بالمشرق ينزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته و مقدار عمرانه، و كأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول و الانقباض فبادرة بالإجابة"[3] أما واشنطن إفرنج في كتابه سقوط غرناطة فيصف و بنفس العبارات تقريبا هذه الحالة و لكن هذه المرة من منظرو أخلاقي، حين يصف صيحة " الدرويش" في وجه أبي الحسن بعد ما شهد معاملة هذا الأخير للأسرى الإسبانيين بعد هجومه على قلعة الصخرة سنة 1481، قائلا " ويلا لنا لقد دنت ساعتك يا غرناطة و لسوف تسقط أنقاض الصخرة على رؤوسنا و أن هاتفا ليهتف في نفسي بأن نهاية دولة الإسلام في الأندلس قد حلت"[4].

1-الفكر الإسلامي المعاصر :غازي التوبة، دار القلم بيروت، ط 2، عام 1985م.
2-المرجع نفسه ،ص60
3- المرجع نفسه ،ص65
4-المرجع نفسه نص67.

إلا أنه و رغم سلبية الاستعمار من الناحية الموضوعية و الأخلاقية، يبقى هذا الأخير في صورة من صوره " أثرا سعيدا من آثار تلك القابلية" [1] حيث يدفع بالمجتمع نحو التخلص من بواعثها،حين يبدأ هذا الأخير في اكتشاف ذاته من جراء ردات فعله عن ممارسات المستعمر Le colonisateur أو بتعبير مالك بن نبي حين "... يجد نفسه مضطر ا أن يتخلص من صفات أبناء المستعمرات، بأن يصبح غير قابل للاستعمار"[2]. فبرغم من عدم نبل غايات و أهدافه الاستعمار، فهو لم يأتي ليخلص المجتمع من قابليته لذلك، إلا أن طبيعة التدافع بين المستعمرLe colonisateur و المستعمر Le Colonisé من جهة و حالة الرفض التي تتولد لدى المجتمع المستعمر Le Colonisé من جراء الفعل الاستعماري من جهة أخرى، تساهمان في تخلص المستعمر Colonies من حالة الركود و الجمود التي نجمت عن فقدانه وظيفته التاريخية و بالتالي ينعكس مفعول الاستعمار من كونه عاملا مخضعا للمجتمع مشلا لنشاطه إلى دافعا نفسيا و محركا مناسبا لمكنونات المجتمع الخامدة، لينتقل بذلك من حالة الركود و الجمود إلى حالة يبدأ فيها باسترجاع نشاطه فيعينه ذلك على التغلب على قابليته للاستعمار، ليصبح بذلك الاستعمار في نظر الأستاذ مالك بن نبي ضرورة تاريخية، من حيث أنه عامل منبه يساهم بطريقة غير إرادية في إعادة بعث القدرة على النشاط (الحركة).

لعلى هذه الرؤية التي ساقها الأستاذ مالك بن نبي إلا البيئة لنظرية جون أرنولد تونبي حين أوعز هذا الأخير التغيير الاجتماعي إلى ما سماه التحدي المناسب و الاستجابة ، حيث جعل الأستاذ مالك بن نبي من معامل الاستعمار، التحدي المناسب الذي يحرك المجتمع نحو التغيير حين يولد لديه درجة من التوتر تجعل استجابته لهذا التحدي كافية لاسترجاع نشاطه الاجتماعي، فيتخلص بذلك من براثين الشلل

1- المرجع السابق ،ص85
2- المرجع السابق،ص86

والخمول، ليعود يشق طريقه نحو البناء، فالثورات التي تولدت عن استعمار في كثير من البلدان العربية و الإسلامية و ما نجم عنها من حراك اجتماعي في صورة أحزاب سياسية و حركات إصلاحية ...، سعت إلى "تجميع قوى المجتمع من أجل القضاء على الاستعمار"[1]، لم تكن في حقيقة الأمر، إلا تعبير عن استعادت المجتمعات العربية و الإسلامية لنشاطها الاجتماعي، فقد استطاعت بالفعل أن تحقق هدفها الرئيسي من خلال حركتها الاستقلالية، إلا أن النتيجة الفعلية لهذه الاستجابة، في نظر الأستاذ مالك، لا يمكن أن تحقق مبتغياتها الحضارية، إلا إذا استطاعت أن تغيير الإنسان و تصفيه من القابلية للاستعمار[2] بأن تعيد اشتراط سلوك الفرد الاجتماعي لينعكس بذلك على المجتمع ليعود بدوره مجتمعا وظيفيا.

و في الخلاصة و إذا جاز لنا أن نصوغ فكرة القابلية للاستعمار عند مالك بن نبي في شكلا رياضي نستطيع أن نكتبها كالتالي:

المجتمع = الوظيفة التاريخية

القابلية للاستعمار = فقدان الوظيفة التاريخية

1- بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ،دار الفكر ،ط2 ،2001،ص58.
2- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي :سليمان الخطيب، نشر المعهد العالمي للفكر،ط1،1989،ص،40.

الخاتمة

خاتمة :

وفي الأخير يمكننا القول بأن خاتمة هذا الفصل جاءت لتتضمن مجموعة من الخلاصات والاستنتاجات خرجت بها هذه الدراسة المتواضعة وهي كالآتي:

-يعد مالك بن نبي واحدا من أعلام النهضة الإسلامية وأبرز مفكر عني بالفكر الحضاري ،وقد ساهمت عدة مصادر في تشكيل فكره وصياغته أهمه :

1- الثقافة العربية الإسلامية : بما فيها التنشأة الأسرية والمدرسية ،وتأثره بالحركات الإصلاحية الإسلامية ،كما يعد القرآن الكريم الدافع الروحي والأساس الأول في تكوين شخصيته.

2-الثقافة الغربية : استمد ثقافته من المدرسة الفرنسية كما طالع الصحف والمجلات الغربية وقرأ المشاهير والأدباء الغربيين.

هناك عدة نظريات غربية تفسر ظاهرة الصراع الحضاري أهمها نظرية هوبز التي ترى أن السيطرة على الشعوب واستعمارها وننهب أموالها واستغلالها هو أمر طبيعي ما دام البقاء لأقوى وللأصلح ، ولا مكان للضعيف في الحياة.وهذه النظرية تبنتها القوى الاستعمارية الغربية التي استعمرت شعوبا كثيرة.

كما توجد نظريات غربية أخرى تنفي ظاهرة الصراع تماما منها :

-نظرية العنصر(الجنس)
- نظرية البيئة

أما الباحثون المسلمون فلهم موقف مغاير تماما ذلك أنهم يعتبرون أن مسألة الصراع الحضاري قضية غير إنسانية واختلفوا في ذلك.

إن تباين مواقف العرب والمسلمين حول اشكالية الصراع الحضاري أظهر اتجاهات متناقضة وهي : اتجاه محافظ مرتبط بالتراث ، اتجاه العصرنة، اتجاه معتدل.

كان للاحتكاك العربي الغربي الأثر الكبير على الفئة العربية الإسلامية القائمة علة الموروث القديم،

ومن جهة ثانية رغبتها في اقتباس الحضارة الغربية لتتمكن من النهوض ومواكبة الركب الحضاري.

تصنف المواقف إزاء هذه الحيرة بين الفئة العربية المثقفة إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أ- **اتجاه العصرنة** : ينكر التراث ويدعو إلى ضرورة تبني الحضارة الغربية.

ب- **الاتجاه التوفيقي** : وهذا التوفيق بالأخذ بعناصر الماضي للفكر العربي الإسلامي ودمجه بمنجزات الحارة الغربية.

يطرح الموروث الحضاري إشكالية الشرق والغرب التي أضحت تمثل الجدل الأزلي التي تبنى عليه الحضارة في العصر الحديث.

علاقة الشرق بالغرب هي علاقة صراع حضاري يحاول كل منهما أن يفرض وجوده المصبوغ باعتقاده وتقاليده ،وعاداته وتقاليده وثقافته على الأخر. وكانت نتيجة هذا الصراع كما بين مالك بن نبي هي تفوق الغرب على الشرق واستعماره له.

خلف هذا الصراع الكثير من المشاكل التي يتخبط فيها الشرق الآن من أهمها التبعية الثقافية والاقتصادية وتخلي الشرق عن تراثه وأصالته وأتباعه للثقافة الغربية ومنتجاتها.

رأى مالك بن نبي أن علاقة الشرق بالغرب هي علاقة مستعمر بمستعمر حتى بعد تخلي الاستعمار عن مستعمراته واستقلالها عنه.

قسم بن نبي الصراع الحضاري بين الشرق والغرب إلى أربع أنواع : الصراع الفكري – الصراع الثقافي – الصراع الاجتماعي –الصراع الديني. فيرى أن الصراع الفكري ،هو المنهج المنظم الذي ينفذه الاستعمار لتشويه الوعي عند شعوب المستعمرات، فيزرع في عقولهم الأفكار الميتة والأفكار القاتلة وخصص الاستعمار لذلك جهازا لرصد الأفكار البناءة ومن ثم تحطيمها.

أما الصراع الثقافي فمع الامتداد الغربي إلى الشرق انسجم الشرق مع الواقع الحضاري الغربي الذي ألى على شواطئه بكميات من إنتاجه الثقافي وبذلك تخلى عن ثقافته العربية الإسلامية الأصلية ، فكانت نتيجة هذا الصراع محسومة لصالح الغرب.

الصراع الاجتماعي فقد عمل الاستعمار على إثارة الفوضى في المجتمعات الشرقية بل تعدى ذلك حيث نجده يحول بين الشعب وبين إصلاحه نفسه ، فيضع نظاما للإذلال والإفساد والتخريب يمحو به كل كرانة أو شرف أو إحياء ، بينما تمثل الصراع الديني في الاضطهاد الديني في كل البلدان الإسلامية المستعمرة حيث استهدف الإسلام بالدرجة الأولى لكي يستبدله بديانته النصرانية ، بعدما أحس بمدى تشبث المسلم بدينه وإدراكه بأن قوة الإيمان تعد أهم ما احتفظ به المسلم بعدما سلب منه وطنه.

وفي آخر هذا البحث نرجوا من الله السداد والتوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

1/القرآن الكريم برواية وش

2/المصادر :

1-أرنولد توينبي ، مختصر دراسة التاريخ ، ترجم محمد شبل ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ن 1966.

2-ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، المجلد الأول ،ط2 ،1961.

3-مالك بن نبي ، بين الرشاد والتيه والنية ، دار الفكر ، دمشق ،ط2 ،2001.

3- مالك بن نبي ، تأملات ، دار الفكر ، دمشق ،1986.

5- مالك بن نبي ، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين ، دار الفكر ، دمشق ،ط2 ،2007.

6- مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ط4 ،1987.

7- مالك بن نبي ، الفكرة الإفريقية الآسيوية ، دار الفكر ، دمشق ، ط4 ،2006.

8- مالك بن نبي ، مالك بن نبي ، فكرة كمنويلث إسلامي ، ترجمةالطيب الشريف ، دار الفكر ، دمشق ،2002.

9- مالك بن نبي ، في مهب المعركة ، دار الفكر ، دمشق ، ط3 ،1981.

10- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد للقرن ، طرابلس ، لبنان ، دار الفكر ، 1983.

11- مالك بن نبي ،المسلم في عالم الإقتصاد ، ترجمة عمر كامل مسقاوي ، دار الفكر دمشق ،ط3 ،2005.

12- محمد عوض ، الإستعمار والمذاهب الإستعمارية ، دار المعارف ، مصر ،ط2 ،1985.

13- مالك ن نبي ، مشكلة الأفكارفي العالم الإسلامي ، ترجمة محمد علي ، مكتبة عمار ، القاهرة ،1971.

14- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ــ ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ،ط3 ،1986.

15- مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ،دار الفكر ، مشق ، ط6 ،2006.

3/ المعاجم :

1- ابراهيم مصطفى ، أحمد حسين الزيات ، عبد القادر النجار ، المعجم الوسيط ،ج1.

2- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ذار الكتاب اللبناني ،لبنان ، 1971 ،ط1.

3-الزبيدي الحنفي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ،1994.

4- عبد المنعم الحنفي ، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ط3 ،2000.

5- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ،1997.

6- محمد جمال الفار ، المعجم الإعجامي ، دار أسامة ، الأردن ، ط1 ،2002

4/ المراجع :

1-أحمد بناسي ، المدخل إلى فكر مالك بن نبي ، منشورات التبيين الجاحضية ، الجزائر ،2000.

2- أحمد دكار ، تيارات فكرية ، كنوز للنشر ،تلمسان ، الجزائر ، ط1 ،2007.

3-أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ، دار النفائس ، بيروت ،ط2 ، 1986.

4- آمنة تشيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأنولد توينبي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجائر ، 1989.

5-بن براهيم الطيب ، مالك بن نبي وابن خلدون ، مواقف وأفكار مشتركة ، دار مدين ،2002.

6- خالد عرابي ، صراع بين افسلام والغرب ، دار الفكر ، القاهرة ، ط1 ،2003.

7- زكي ميلاد ، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة ، دراسة تحليلية ونقدية ، دار الفر دمشق ، ط1 ، 1998

8- زكي نجيب محمود ، أفكار ومواقف ، بيروت ، دار الشروق ،ط1 ،1998.

9-سيد ياسين ،إشكالية الأصالة والمعاصرة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،1989.

10- سلطاني أبو جرة نبروتوكولات خبثاء صهيون ، شركة شهاب الجزائر.

11- الطيب تيرني ، حول مشكلات الثورة والثقافة في العالم، دار دمشق للطباعة بيروت.

12-عبد الرحمن خليفة ، فضلالله محمدغسماعيل المدخل في ايديولوجيا الحضارة ،بستان المعرفة ، افسكندرية2006.

13- عبد الرحيم مراد ، ملامح المشروع الحضاري ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، لبنان ، 1989.

14- عبد الله عبادة ، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ، دار الشهاب باتنة ، ط1 ،1984.

15- عبد اللطيف عبادة ،فقه التغيير في فكلر مالك بن نبي ، عالم الأفكار الجزائر ،ط2.1999.

16- عمر فوخ ، التبشير والإستعمار ،ط3، 1989.

17- عبد الرحمان الميداني ، أجنحة الفكر الثلاثة ، ط32001.

18- غازي التوبة ، الفكر الإسلامي المعاصر ، دار القلم بيروت ، ط1 ،1993.

19- فهمي جدعان ، نضرية التراث ودراسات عربية إسلامية أخرى ، دار الشروق ، الأردن ،ط1 ،1975.

19- محمد سعيد رمضان البوطي ، حوار حول مشكلات حضارية ،الدار المتحدة للطباعة والنشر ، مكتبة الرحاب الجزائر ،1990.

20- محمد عابد الجابري ، إشكالية الأصالة والمعاصرة ، مركز الدراسات بيروت 1982.

20-محمد عابد الجابري ، إشكالية الأصالة والمعاصرة ، مركز الدراسات بيروت ، 1982.

21- مسعود النشار ، في فلسفة الحضارة ، جدل الأنا والآخر ، دار قباء القاهرة ،ط1 ،2007.

الفهرس

الفهـــرس :

إهـــداء
شـــكـــر
مقدمـة
الفصل الأول : مالك بن نبي وإشعاعه الفكري 01
المبحث الأول : الإشعاع الفكري عند مالك بن نبي..... 02
المبحث الثاني :مصادر إشعاعه الفكري..... 07
المبحث الثالث : تراثه الفكري..... 11
الفصل الثاني : ماهية الصراع الفكري..... 22
المبحث الأول : مفهوم الصراع..... 22
المبحث الثاني : مفهوم الحضارة 25
المبحث الثالث : مفهوم الصراع الفكري..... 29
المبحث الرابع : إشكالية الصراع الحضاري..... 34
الفصل الثالث : الصراع الحضاري في كتابات مالك بن نبي..... 40
المبحث الأول :الصراع الفكري..... 40
المبحث الثاني : الصراع الثقافي..... 48
المبحث الثالث : الصراع الديني..... 58
المبحث الرابع : الصراع الاجتماعي..... 65

الفصل الرابع : قابلية الاستعمار عند مالك بن نبي..... 69

المبحث الأول : الاستعمار مفهومه ، أشكاله ، أهدافه..... 69

المبحث الثاني : رأي مالك بن نبي في قابلية الاستعمار.....76

خاتمة..... 83

قائمة المصادر والمراجع.....85